منشورات المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية



صفوة المعارف
في حقيقة الأنفس والأذكار واللطائف

خادم المنهج النبوي:

عزيز الكبيطي إدريسي الحسني

منشورات المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية

المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية



The International Academic Center of
Sufi and Aesthetic Studies

صفوة المعارف
في حقيقة الأنفس والأذكار واللطائف

الكاتب: عزيز الكبيطي إدريسي الحسني

منشورات: المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية: (IACSAS)

رقم الإيداع القانوني: Dépôt Légal: 2021MO3649

ردمك: ISBN: 978-9954-714-14-0

الطبعة: الأولى / سنة: 2021م/ 1443هـ

التواصل الإلكتروني: iacsas1@gmail.com

التواصل الهاتفي: 00212666295984

*** طبع وتصميم: مطبعة آنفو –برانت، 12 شارع القادسية – الليدو – فاس**

*** الهاتف: 06.61.20.16.41/05.35.64.17.26/ الفاكس 05.35.65.72.47**

*** البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail.com**



هذه الفروع عادت إلى أصلها، وهذه الأمواج المتحركة غاصت في أعماق سُكُونِها فَتَعَرَّفَت على ربها، وتَخَلَّصَت مِمَّا عَلِقَ بِهَا، وحين تَعَرَّفَتْ أفاض الله عز وجل عليها من العلم ما يُعَرِّف به سائر الأرواح وكل العوالم من إنس وجن وأشباح.

هذا العلم الذي تُرْجِم في كتبنا هته نُهْدِيهِ إلى من انتشلنا من طينية الشواطئ وجَالَ بنا في قرار العمق، وعَرَّفَنَا الحق من الباطل.

نُهْدِيه إلى سائر مشايخنا الذين ما الْتَفَتْنَا إليهم إلا وَجَدْنَاهُم سرا من أسرار حضرته المحمدية والتي كان فضلها حقا علينا وعلى العالمين، وإليها نُهْدِي ما هو منها، ونُرْجِع إليها ما كان فيها.. قد يخرج الماء من البحر فَيَظُنُّه الناس غيره، ولكنه بحر واحد لا تنقسم فيه مياهه ولا أسرار وحيه..

والحمد لله رب العالمين.

تمهيـد:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تُطهر بها القلوب، اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تكشف بها الغيوب، اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تدخلنا بها إلى حضرة المحبوب، اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تُبَلِّغُنا بها المنى والمطلوب، اللهم صل على سيدنا محمد صلاة معرفة وعرفان تُقِيمُ بها الأركان وتُطَهِّرُ بها الجنان، وتدخلنا بها حضرة الإحسان فتحققنا بها بمشاهدة العيان وبمخاطبة الأرواح خطابا يُحْيِي فينا نفخة الشوق وعهود العشق، يُؤَجِّجُ أمواج الأرواح شوقا للرجوع إلى سكون المحيط، وما الموج في الأطراف أو على شواطئ المحيطات يموج ويضرب ويعصف ويتحرك إلا شوقا للرجوع إلى أعماق أصله التي خرج منها، هناك إذا رجع يسكن ويطرب.

كما هي الأمواج تَحِنُّ إلى قعر المحيط بما فيه من أسرار وجواهر إذا رجعت إليه حَنَّتْ، وإذا افترقت عنه وصارت على جوانب الشواطئ اليابسة تموجت واشتاقت، كذلك هي الأرواح في أحوال البُعْد عن عمق محيطها الأحدي تموج وتهيج شوقا، تتحرك عشقا وتَوْقًا، تأتي إليها رياح الذكر وصخور المجاهدة تحملها مما التصق بها من أوساخ الرِّمَال وظُلْمَانية الطين على أطراف الشواطئ، تُطَهِّرُها من ذلك وتُنَقِّيها، لأن أمواج الروح إذا صارت على الأطراف بدل العمق تتسخ بالرمال وبالطين، وتعلق بها جزئية الصخور حتى تُصَيِّرَها غير صالحة للعودة إلى المحيط فَتَعْلَقُ على أطرافه إلى حين

هبوب رياح الذكر التي تُذَكِّرها أصلها، وصخور المجاهدة التي تُعَرِّفها ما فيه هي الآن من الوهم، وأن ذلك المكان ليس أرضها حتى تَهِيج أمواج الروح وتتخلص مما هي عالقة فيه من أوساخ الطين، فَيَسِيرُ بها الذكر إلى وَسَطِ المحيط ويَغُوصُ بها في عُمْقِهِ الأحمدي حتى يَصِلَ بها إلى قَرَارِها الأحدي، تَقِر هناك وتستقر وتعود هناك للأصل بعد أن افترقت، وللسكون بعد أن تحركت، وفي أطراف المحيط شوقا إلى أعماقه.

لكل شيء حكمة وأينما تأمل العارف يستخرج إشارة تدل على ربه، وعلى بديع صنعه، وأينما الْتَفَتَ يرى نفسه بين أكناف حضرته، والكُلُّ مُشِيرٌ إليه.

- فكيف تعود الأمواج المتحركة إلى قرار المحيط الساكن؟
- وما دور صخور المجاهدة ورياح الذكر في هذا؟
- كيف تتطهر أمواج الروح مما عَلِقَ بها على الشواطئ والأطراف؟

ونطرح السؤال هنا بصيغة أوضح للقارئ من العارف الذي فَهِمَ الإشارة قبلها:

- كيف يتخلص الإنسان من تَعَلُّقَاتِه وأوهامه ليعود إلى أصله وصفاء أحواله؟
- كيف يسلك منهج الذكر؟
- وكيف يقر على أصول مجاهدة النفس؟
- وكيف تتحرر لطائف الروح ليرجع إلى الله؟

والحمد لله رب العالمين.

الكتاب الأول:

الأنفس السبعة:

خصائص وأذكار

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلاة الله وسلامه على سيد الأولين والآخرين، روح الذاكرين وإمام العارفين، حضرة المصلين وقدوة السالكين، وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد، فقد جعل الله السبيل إليه سبيلا تَحُفُّ به المكاره والعوائق والصعوبات، وجعله من أصعب السبل على نفس الإنسان، وأمَرِّها عليه، فهو تعالى الذي غرس في النفوس حين أمر بخلقها ما يميل به الإنسان إلى الفلاح والصلاح، وما يميل به إلى الفجور والهلاك، وأعطى للمرء إمكانية الرقي بنفسه في عدة مراقي ومدارج إلى أن يُبَلِّغَها إليه.

قد يتساءل المرء عن صفة النفس المهيمنة وماهية ذاتها المُحَكَّمَة؟ قبل أن يتساءل حول كيفية الرقي بها وإصلاح خللها، فأما النفس فهي وجود ظل يشعر به الإنسان، ويستشعر فيه صفات لا قدرة له عليها، أو يتوهم أن بعض الصفات لا إمكانية له في تركها، وتطغى عليها صفة الوجودية التي تتجلى في أناة الفرد، وهذه الأناة توهمه بظلال الصفات الإلهية، وتموهه عن حقيقة الضعف البشري فيستشعر القدرة في غير محلها، ويشعر بالقوة وهو الذي خُلِق من الضعف، ويتعالى على الخلق والله هو الحق المتكبر المتعال.

كما أن في هذه النفس بعضا من تحولات الإرادة التي تنقلب إلى شهوة وإلى رغبة، فالإرادة صفة إلهية إذا انعكس ظلها في النفس يستشعر المرء رغبة وشهوة يطمح إليها ثم يسعى إلى تحقيقها.

وفي الحقيقة وباختصار شديد النفس هي انعكاسات لصفات واهمة في غير محلها، وهذا الانعكاس ناتج عن استشعار أناة ذاتية منفصلة عن الوجود الحق لله سبحانه، وهذه النفس موجودة في كل مخلوق آمن بالأمانة وكُلِّف بالتكليف، وأرْسِلَت له الرسالة فإما أن يلغي أناته من أصلها فيتحرر من كل الصفات التي هي في غير محلها، ويتصل بالله سبحانه، فيصل إليه ويتوصل إلى معرفته.

وإما يُطَهِّر الصفات صفة صفة يُحَوِّل الصفة الواهمة إلى حقيقة ما هي عليه في ذاته فيحول استشعاره للقوة إلى تيقنه من عجزه، وكذلك يُحَوِّل شعوره بالتكبر والتعالي إلى تواضع وخضوع وعبودية لله تعالى، ويكبح شعوره بحب النفس والأنانية وتلك صفة اختص بها الله لأنه يحب نفسه عن حق، إلى احتقار العبد لنفسه وعدم نسب الكمال إليها.. حتى إذا هيمن النور على أغلب الصفات انفصلت أناته عن ذاته فتحرر من نفسه ووصل إلى ربه.

هذان هما المنهجان السلوكيان للرقي بالنفس، فالأول هو الأيسر والأسهل لأنه فضل من الله على العبد وتيسير من الخالق للمخلوق، ولا يذوق فيه العبد مرارة المجاهدة، ولا قهرية التزكية، لكن الثاني هو الذي يستطيع أي مريد السلوك عليه في درجات من التطهير والمجاهدة، فينتقل من نفسه الأمارة إلى نفسه اللوامة حتى يبلغ إلى كمال النفس، ويتحرر من عالم الوهم ويدرك حقيقة الوجود.

المنهج الأول هو منهج اجتباء رباني قد يتحصل عليه الإنسان في أقل من لحظة واحدة بفضل من الله ويهون عليه بذلك مشقة كبيرة في التزكية والمجاهدة.

أما المنهج الثاني فهو الذي يترك فيه الله مجالا لعبده ليرى فيه إرادته وقوة مجاهدته وتزكيته لنفسه ابتغاءً للوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

وبهذا نقدم المنهج الثاني وهو المنهج العملي الذي بوسع كل مريد صدق طلبه ورسخت همته أن يسير به ويسلك عليه، والكل بتوفيق من الله وسداد منه، والحمد لله رب العالمين.

أقسام النفس السبعة:

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1]



[1]. سورة الشمس، الآيات:7 . 10

أولا: النفس الأمارة بالسوء:

بسم الله الذي بنعمته تتم الصالحات وبالصلاة على نبيه تتحقق البركات وبإتباع نهجه تحقق القربات، قال الله تعالى على لسان امرأة العزيز وهي تتحدث عن النفس الأمارة: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

• الفرق بين اختبارات الدنيا واختبارات النفس والشيطان:

أما بعد فإن الله عز وجل جعل العبد في هذه الدنيا بين اختبارين، اختبار الدنيا واختبار النفس والشيطان، فأما الدنيا فهي ما يؤثر على الإنسان من الخارج إذا كان فيه نقص داخلي، وأما النفس فهي ما يؤثر عليه من الداخل، وكلاهما يفصلان المريد عن ركب السائرين إلى الله تعالى، إلا إذا صفي الباطن والداخل، حينئذ لا يستطيع المؤثر الخارجي التأثير على باطن الإنسان وداخله، أي إذا صفت النفس اكتملت فيستحيل على عقبة الدنيا أن تحول بين العبد وبين ربه وأن تشكل له عائقا في سير السبيل إليه عز وجل.

وفي تزكية النفس يمر الإنسان بعدة مقامات لكل مقام فكره، ولكل مقام معرفته، ولكل مقام مشاهدته، ولكل مقام علاماته ومظاهره.

[1]. (سورة يوسف: 53).

• خصائص النفس الأمارة بالسوء:

1. تحول بين الإنسان وفعل الطاعة وتدفعه إلى المعصية:

فأما النفس الأمارة بالسوء تلك التي تحول بين الإنسان وبين الخير كيفما كان، وتدفعه للشر أينما كان، تحول بينه وبين الطاعة، وتدفعه إلى المعصية دفعا.

2. تستحلي المعصية مع عدم الشعور بالندم أو الحياء أو التقصير:

أما إذا عصى ربه وكان ذا نفس أمارة فإنه لا يشعر أثناء المعصية ولا بعدها بندم ولا بقلق ولا باضطراب ولا بحياء من الله عز وجل، وإذا ترك الطاعة فإنه لا يشعر بنقص ولا باحتياج داخلي إلى الله تعالى، حيث يستحلي المريد المعصية ويستلذها ولا يندم أثناءها ولا بعدها بيومين ولا بثلاث، عكس ما يحصل في المقامات الأخرى من مقامات النفوس.

فذلك صاحب نفس أمارة بالسوء لا يوجد فيها إلا الظلام المدقع، ولا توجد فيها أية شعلة من النور تؤنب العبد وتحول بينه وبين راحته في المعصية، أو تحول دون استلذاذه الذنوب، أو تمنع شعوره بالطمأنينة عند ترك الطاعة، وهذه أكبر علامة تدل على أن نفس المريد نفس أمارة بالسوء.

3. استثقال المريد لجلسات الذكر خاصة الفردية منها:

حيث لا يحصل له خشوع في الجلسات الجماعية للذكر ولا اتصال مع الله عز وجل، وإنما يستأنس فيها بالخلق فقط وبالجو وبالأنغام وبالألحان التي تتلى على المسامع، وقد يظن المريد أنه يستحلي مجلس الذكر، لكن

ذلك لا يكون حاصلا، إنما يكون الاستئناس بالخلق والمخلوقات فقط وليس استئناسا بالله تعالى، ويتأكد المريد من هذا في جلسات الذكر الفردية خاصة الأوراد اليومية، فإن وجد فيها ثقلا من البداية إلى الوسط وحال ذلك الثقل بينه وبين إكماله للأوراد، فإنه صاحب نفس أمارة بالسوء حتى إن أكمل ورده وبقي معه ذلك الثقل لآخر الذكر، فذلك يدل على أَمَّارِيَة النفس أيضا.

4. عدم القدرة على تقبل الآخر أو التعامل والتعايش معه:

كما أن هذا الصنف من المريدين يجد اضطرابا كبيرا في تعامله مع الغير، خاصة مع المريدين حيث لا يتقبل منهم أي احتكاك ولا أي اختلاف ولا أي نزاع.

إنما نفس المؤمن رحمة واسعة تسع الخلق وتسع العالمين، أما النفس الأمارة فهي ضيقة قاتمة لا تتقبل الغير، وتنزعج من أدنى تصرفاته وتجد ضيقا أثناء التعامل أو التعاون معه، وهذا قد يفصل المريد عن باقي إخوانه وقد يتسبب بذلك في فصله عن طريق السلوك إلى الله عز وجل من خلال إبعاده عن ركب السالكين.

5. ترفض الغير رفضا مطلقا مع الشعور بالاستعلاء والاستكبار:

لذلك فان النفس الأمارة بالسوء ترفض الغير رفضا مطلقا ولا تقبل بأي تنازل ولا بأي خفض للجناح، تشعر دوما بالاستعلاء والاستكبار ولا تخضع لأي أحد حتى للمرشد في بدايتها.

6. تدفع لإجرامات خطيرة وتتسبب في هواجس عقلية وخيالات مريضة وأفكار شنيعة وخبيثة يصعب الإفصاح عنها حتى للمرشد:

كما أن هذه النفس تدفع المريد إلى إجرامات خطيرة وتتسبب له في هواجس عقلية وفي أفكار شنيعة وفي خيالات مريضة؛ حيث تجده يفكر فيما لا يستطيع أن يقوله في أمور جد خبيثة قد تخص السلوك، وقد تخص المريدين، وقد تخص الشيخ أيضا، وقد تخص باقي الأفراد بشكل عام.

لذلك فإن صاحب هذه النفس يعيش في دوامة من الظلام ما بين أفكار سلبية وخيالات مريضة، وبين انغلاق عن الغير وعدم تقبل الاستعلاء عليه، وما بين استثقال للذكر واستئناس مع الخلق واستيحاش من الحق، ولازالت في ذلك علامات أخرى لكن نكتفي بهذا القدر.



• علاج النفس الأمارة:



1. لا يوافقها كثرة الذكر لاستثقاله، ولا قلته لضعف تأثيره:

هذه النفس تستثقل كل الأعمال الصالحة، وتميل إلى كل الأعمال الطالحة، لا يمكن أن تعالج بالذكر الطويل والكثير لأنها لن تستطيع الإكمال أو الصبر عليه، وهذا سيؤدي بالمريد إلى اليأس وإلى ترك المحاولة نهائيا وبهذا ينسلخ من سلك المريدية وينتمي إلى نفسه ويطيع هواه، كما أن الذكر القليل لن يؤثر عليها لأن التركيز في البداية لن يكون حاصلا.

2. تحليتها بأهداف جانبية وببعض الأماني والآمال لتصبر على مرارة الذكر والتزكية: كالكشوفات والخيالات وغيرها..

لذلك تتم مساعدة النفس في هذه المرحلة ببعض الأماني والآمال، والأهداف الجانبية غير المقصودة من كشف أو مشاهدة أو تحقق بالخيال حتى تصبر في البداية على مرارة الذكر.

لذلك أغلب أصحاب النفوس الأمارة تكون لهم أهداف أخرى غير الله عز وجل ولا يحاسبون عليها هنا رفقا بهم وتحلية لنفوسهم.

• الذكر الموافق للنفس الأمارة:

والذكر الذي يعطى لعلاج هذه النفس هو:

• **ذكر الاستغفار**: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (15 دقيقة).

• **ذكر: يا جبار ياقهار**: (15 دقيقة).

ثانيا: النفس اللوامة:

قال الله تعالى عن هذه النفس: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

أما بالنسبة للنفس اللوامة فلها خصائص ومواصفات تتجلى غالبا في عدم استقرار المريد على حالة واحدة ودوام تأرجحه ما بين أعمال الخير وأعمال الشر، ما بين طريق النور وطريق الظلام، لذلك فأصحاب هذه النفس لا يكون سلوكهم إلى الله عز وجل متواصلا ودائما إنما يتقطع، حيث يتوقفون في بعض المحطات لمدة معينة ثم يرجعون إلى إكمال التزكية والسلوك، وقد يتوقفون مرة أخرى لفترة من الزمن.

• خصائص النفس اللوامة:

1. تهب عليها أحوال ومشاعر مؤقتة لا ترسخ في المقامات:

ومما يميز النفس اللوامة أن أصحابها يعيشون في أحوال فقط، وليس في مقامات؛ فتارة يجدون في باطنهم برودا وجمودا في السير، وتارة حماسا وتحفزا، وتارة يجدون في الذكر خشوعا وحضورا وهمة، وتهب عليهم بعض نسائم الوجد والشوق والهيام، وتارة يجدون غفلة وبعدا وانفصالا عن المذكور فلا يُهَيِّج أشواقهم ذكر ولا مدح ولا مجالسة.

تعتريهم أيضا بعض الأحوال المتقلبة من أحوال البكاء أو الندم أو الرغبة الصادقة في السلوك، وتكون هذه المشاعر التي تجول في نفوسهم

[1]. (سورة القيامة: 2).

محدودة المدة، تزول بعد أيام قلائل، ثم يفقدون بعد ذلك الرغبة في السلوك الجدي وفي المجاهدة المريرة، وفي اجتياز المسارات الطويلة.

2. تطغى عليها صفة النفاق فتستحلي وتشتهي مجالس اللهو كما تستحلي وتشتهي مجالس الذكر:

فهذه النفس تتسم غالبا **بصفة النفاق** لا هي إلى هؤلاء ولا هي إلى هؤلاء، تنتمي في بعض الأحيان إلى أهل الذكر فتجلس مجالسهم وتختلي خلواتهم، وتشهد مشاهداتهم، وتستنكر الغير الذين هم في غفلة معرضون، والذين هم في لهو وفي إعراض وفي انشغال بالدنيا، وبعد مدة غير طويلة ولمجرد أحداث بسيطة أو إغراءات ضعيفة تتحول النفس إلى اشتهاء مجالس اللهو؛ فقد تجلس مجالسهم وتتكلم حديثهم، وتتلذذ بملذاتهم، ولا تجد في نفسها لوما ولا تأنيب ضمير، ولا رغبة في تصحيح المسار فالنفس اللوامة تستحلي أيضا المعصية كما تستحلي الطاعة أيضا وهي في تقلب وتأرجح بين المسارين.



• علاج النفس اللوامة:

1. تحكم المريد فيها بزجرها وهجر لذاتها وقمع رغباتها وشهواتها ولجم أطماعها:

هذه وجب على المريد أن يتحكم فيها وأن يمتلك زمامها وأن يقمع رغباتها ويهجر لذاتها وأن يقتل شهواتها ويزيل أطماعها ويهدم أركانها ويسوقها سوقا إلى حيث يجب أن تنساق، فإذا شعر بها تنفلت من بين زمامه وتَهُمُّ إلى الإقبال على الملذات صرم حبالها وزجر شهوتها، وشد على لجامها، وثَبَّتَهَا حيث هي.

ويكون المريد في حالة النفس اللوامة قادرا بعض الشيء على التحكم في نفسه عكس حاله في النفس الأمارة التي لا سبيل له عليها ولا طاقة له على مجاهدتها إلا إذا أكرمه الله وأعانه على ذلك وسَخَّرَ له شيخا مرشدا سالكا ينقله من النفس الأمارة إلى اللوامة، حينئذ يستطيع المريد بعض الشيء أن يجابه نفسه وأن يعارضها، وذلك ما عليه أن يفعل لكي لا تتدهور نفسه وترجع إلى حالة النفس الأمارة؛ فالنفس تتطور وتتدهور وتتزكى وتُدَسُّ، فكما أن هناك مسار لتصحيح النفس والرقي بها في المقامات، هناك أيضا مسار عكسي لإفساد النفس والنزول بها في الظلمات، فمجاهدة المريد لنفسه اللوامة يُطَوِّرُه إلى النفس التي بعدها، وعدم مجاهدته لها وانسياقه وراءها في كل حال، فإن هي أقبلت على الذكر أقبل، وإن هي أدبرت عنه أدبر، وإن هي انشغلت بالدنيا انشغل بها، وإن هي انساقت وراء الشهوات انساق وراءها، هذا يدهور سير المريد ويعيد نفسه إلى سيرتها الأمارة.

2. عدم استسلامه لها حتى وإن غُلِب يرجع لمجاهدتها:

إلا أننا هنا لا ننفي أبدا أن المريد قد يُغْلَب لنفسه وينساق وراءها مرات عديدة لكن ما نُثْبِتُه أيضا أنه يغلبها مرات عديدة ويسوقها إلى الله سوقا ويجاهدها مجاهدة.

على المريد أن يجاهد سواء إن غَلَب أو غُلِب فهو حينئذ في الطريق، وما يوقف سيره ويخرجه من ركب السالكين هو استسلامه للنفس، فإن استسلم لها فحتى أعماله الصالحة لا يُؤْجَر عليها لأنها من محض نفسه، فمثلا في بعض الأوقات أو الأزمنة المباركة تستحلي النفس الذكر فينساق وراءها المريد فيذكر باستحلاء، ولا يكون لذلك الذكر أجر ولا معرفة ولا قرب من الله، لأنه مجرد انسياق وراء النفس.

وغالبا ما ترجع النفس مرة أخرى لانسياقها وراء الشهوات، وفي حالة استسلام المريد لها ينساق وراءها دون أية مجاهدة ولا مجابهة ولا مكافحة، هذا ليس سالكا إلى الله ولا طالبا لرضاه، إنما هو مُسْلِم من المسلمين تخوض به الأمواج وتترامى به الأهواء فيتخبطه الأعداء كما يريده الأحياء، فلا هو يذعن لإرادة الأحياء بنور الله فيحيا بسرهم، ولا هو يبقى في طريق الأعداء فيهلك بهلاكهم، هو ما بين إخلاء وإبداء، سلوك وهلاك.

• الأذكار الموافقة لهذه النفس:

لهذه النفس أذكار وجب أن تكون ثقيلة شديدة متينة لكي ترد النفس إذا انفلتت إلى الطريق الصحيح، ولكي تقمع النفس إذا كانت سالكة في طريق الخطأ فتنغص عليها شهواتها الظلمانية وتردها إلى الله ردا متينا،

وأيضا لكي لا تكون عبادة المريد لمجرد شهوة نفسه، لأن النفس قد تتشهى الذكر ولكن ذلك يكون لفترة قصيرة، فإذا شددنا عليها الذكر يكون المريد ذاكرا لوجه الله تعالى وليس اتباعا لشهوات نفسه، وهو بذلك يجنب الشر الكثير.

●الفرق بين من يذكر الله مُسْتَحْلٍ به مُسْتَأْنِسٍ بحضرته؟ ومن يذكر الله لمجرد شهوة في نفسه؟

على المريد أن ينظر إلى **مدة استمرارية حلاوة الذكر** إذا استمرت لفترة قصيرة ثم ذهبت، وحصل له الملل والضجر، فذلك كان يذكر الله لنفسه فقط، أما إذا لم يحصل له ذلك **واستمر معه الأمر لفترة أطول فذلك قد آنسه الله به**، واختصه بحضرته، وحققه بالسبيل وثبته عليه.

فيذكر المريد يوميا:

1. **الهيللة: لا إله إلا الله:** (1000مرة) أو ما يعادل (ساعة من الزمن).
2. **الصلاة على النبي**: (نصف ساعة)، لكل مريد صيغة محددة يأذن فيها الشيخ..
3. **مراقبة الاسم مشاهدة، أو شعورا وتفاعلا:**

في هذه المرحلة يؤذن للمريد القيام ببعض المراقبات والمعارج، فلكل مريد حال يرجع فيه إلى الشيخ فيجيزه في بعض المراقبات، أما إذا شئنا أن نضع **قاعدة** لذلك فإنه في هذه المراقبة يقوم **بمراقبة الاسم مشاهدة**، فإن لم يكن مشاهدة **فشعورا وتفاعلا بالوجد والروح**.

4. الرابطة الروحية:

قد يؤذن للبعض بالرابطة الروحية والبعض لا يؤذن له في هذه المرحلة.



الأذكار الموافقة للنفس اللوامة:

فيذكر المريد يوميا:

١. **الهيللة:** لا إله إلا الله: (١٠٠٠ مرة) أو ما يعادل (ساعة من الزمن).

٢. **الصلاة على النبي:** (نصف ساعة)، لكل مريد صيغة محددة يأذن فيها الشيخ..

٣. **مراقبة الاسم مشاهدة، أو شعورا وتفاعلا:** في هذه المرحلة يؤذن للمريد القيام ببعض المراقبات والمعارج، فلكل مريد حال يرجع فيه إلى الشيخ فيجيزه في بعض المراقبات، أما إذا شئنا أن نضع قاعدة لذلك فإنه في هذه المراقبة يقوم بمراقبة الاسم مشاهدة، فإن لم يكن مشاهدة فشعورا وتفاعلا بالوجد والروح.

٤. **الرابطة الروحية:** قد يؤذن للبعض بالرابطة الروحية والبعض لا يؤذن له في هذه المرحلة.

هذا والحمد لله رب العالمين..

ثالثا: النفس المطمئنة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1]

إن المريد إذا جاهد نفسه الأمارة انتقل إلى النفس اللوامة حينها تبدأ النفس في التقلب والتلون، حتى ينقلها الله تعالى بفضله وكرمه نتيجة لمجاهدة المريد من حالة التلوين إلى مقام التمكين فتصبح نفسا مطمئنة بالله تعالى.

فأما النفس المطمئنة هي النفس التي أرخت زمام القيادة للمريد وتخلت عن مهمة القيادة.

• خصائص النفس المُطْمَئنة:

ولها مميزات وخصائص عديدة، من أبرزها:

1. استقرار المريد على حالة من الرسوخ في أمور الشريعة، وتحققه بكمال الإسلام وبطهارة الجوارح والأركان:

فهذه النفس تشمئز من المعصية وتفر منها وتفزع، عكس ما سبقها من أصناف النفوس التي تستلذ المعصية كالأمارة واللوامة..

[1]. سورة الفجر، 28/27

2. قد تستعذب الطاعة وقد لا تستعذبها لكنها تقوم بها كحالة السجين الراضح لأمر الحاكم:

وهي أيضا قد تستعذب الطاعة وتستلذها، وقد لا تستلذها ولا تشعر بأي اتصال ولا حلاوة ولا قرب في الطاعة إنما تكون في **حالة السجين المتمرد الذي طال سجنه وعذابه**، حتى زالت منه صفة التمرد ورضخ لحكم الأمير فهو لا يعصيه ولا يرغب في معصيته، ولا يتبعه بلذة ولا بمحبة يتبعه مكرها، لكن هذا الإكراه له مرارة تشعر بها النفس فقط ولا يشعر بها المريد، عكس مرارة النفس الأمارة واللوامة التي تستشعرها في الطاعة فإنها تصل للمريد ويشعر بها أيضا.

3. اطمأنت إلى أمر المريد وسلمت له ولم تعد تنازعه ولا تفاوضه ولا تستميله ولا تعذبه، فهي حية لكنها مقموعة مقهورة:

ومن تسميتها بالنفس المطمئنة نفهم أنها اطمأنت إلى أمر المريد وسلمت له ولم تعد تنازعه ولا تفاوضه ولا تستميله ولا تعذبه، ولا تستعذب له أحوال المعصية والطاعة، وهذا مقام محمود إلا أنه ليس المطلب المقصود، ولا هو أعلى مقام، لأن النفس في هذه المرحلة تكون حية لم تمت بعد، ولكنها مقموعة مقهورة أدى ذلك إلى تسليمها إلى قائدها، وهذه القهرية التي تنزلت على النفس في هذه المرحلة قد تحول بين المريد وبين استشعاره للذة الطاعة وللذة الروح ومحبتها وتشوقها وحلاوة مشاهدتها وجمال إشراقتها ومعاني حسنها.

4. قد تقوم بالأعمال والأذكار دون حلاوة ولا ثقل:

ومن خصائص هذه النفس أن المريد قد يذكر الله فيستمر على ذكره دون حصول الارتباط الوجداني بالله تعالى، لكنه في نفس الوقت لا يستشعر الثقل والتثاقل الذي كان في النفس مسبقا قبل رقيها إلى النفس المطمئة.

5. قد تتحرك صفاتها الخبيثة تحركا ضعيف الشوكة فلا تدفع للمعصية البائنة الجلية إنما تقتصر على بعض الخيالات والخواطر:

كما أنها تكون غير مكتملة الصفات بعد، بل تجد فيها بعض الصفات الخبيثة وغالبا ما تكون حب ظهور وترأس وكبر، وقد تتحرك هذه الصفات الخبيثة في النفس المطمئنة تحركا ضعيف الشوكة لا يحرك المريد الثابت قيد أنملة على ما كان عليه، وإن كان ذا عناية فإنه لا يشعر بهذا التحرك أصلا.

وهذه المرحلة من تطهير النفس هي المرحلة الوحيدة التي يكون المريد فيها منتبها كل انتباهه إلى تحركات نفسه مراقبا لهواجسها يجاهدها قدر المستطاع، ويغلبها دوما وحتى إن غلبته فإن ذلك لا يكون إلا في الخواطر والهواجس، لا تدفع النفس المطمئنة المرء إلى المعصية البائنة الجلية ولكن قد تدفعه لخيالات وتصورات ومشاعر مذمومة وذلك لأنها تكون مطمئنة بنفسها غير مُطَمأنة من الله بعد، فقد تتحرك ويتجدد ما فيها من ظلام ومن خبث ولكن بضعف كبير يكاد لا يشعر به المريد، فالنفس في هذه المرحلة غير معصومة بعد، وغير مُخَلَّصَة ولا مُطَمْأَنة ولا مرضية من الله

تعالى فهي لا تزال منتسبة لنفسها لازالت فيها صفة منها هي أنها مطمئنة، وليس من صفات الله المطمئن، فهي صفة من النفس أصلها، وليست انعكاسا لصفات الله عز وجل المقدسة.

خصائص النفس المطمئنة عديدة من أبرزها:

١ استقرار المريد على حالة من الرسوخ في أمور الشريعة، وتحققه بكمال الإسلام . وبطهارة الجوارح والأركان

٢ قد تستعذب الطاعة وقد لا تستعذبها لكنها تقوم بها كحالة السجين الراضخ لأمر الحاكم

٣ اطمأنت إلى أمر المريد وسلمت له ولم تعد تنازعه ولا تفاوضه ولا تستميله ولا تعذبه، فهي حية لكنها مقموعة مقهورة

٤ قد تقوم بالأعمال والأذكار دون حلاوة ولا ثقل

٥ قد تتحرك صفاتها الخبيثة تحركا ضعيف الشوكة فلا تدفع للمعصية البائنة الجلية إنما تقتصر على بعض الخيالات والخواطر

• الأذكار الموافقة للنفس المطمئنة:

أما الذكر الذي يصلح لها في هذه المرحلة هو ذكر:

1. **يا حي يا محيي: (600 مرة).**
2. **يا الله: (ساعة من الزمن).**

هذا يعيد للنفس التي كادت أن تموت عن ظلمانيتها وانتقلت إلى نورانيتها نور الله فيها فالنفس في اطمئنانها حية بما فيها وبصفاتها المحمودة حتى إذا أحييت بالله عز وجل حيت بصفاته المقدسة المرفوعة فحينئذ يتصل المرء بالله تعالى ويتجدد عليه الوجد والشوق والهيام وتنبعث في باطنه شعلة المحبة تجعل النفس تذوب في الروح فتسافران معا إلى الله تعالى تحضران في حضرته وتستقيان من صفاته وتهيمان في تجلياته حتى تكون النفس والروح روحا واحدة حينها فقط تبدأ النفس بالتدرج في مقامات الصفاء والطهارة والنقاء، **فالنفس الأمارة واللوامة والمطمئنة هي أنفس ظلمانية منسوبة إليها، وما بعد النفس المطمئنة هي نفوس نورانية بعضها منسوب إليها وبعضها منسوب إلى الروح وبعضها منتسب إلى الله سبحانه متصل بأمره وفان في قدرته، راض بقضائه عارف بقدره.**

ذلك والحمد لله رب العالمين.

رابعا: النفس الراضية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1]

مقام النفس الراضية الذي يتحصل عليه المريد بعد النفس المطمئنة فأما المطمئنة فهي خاضعة كَرْهاً، وأما الراضية فهي خاضعة طواعية، والفرق بينهما كبير وشاسع ولا يمكن المزج بينهما أو اختلاط الفهم في معانيهما لأن مقام الرضا يغلب على النفس الراضية فتتحرر من قهرها وتتحرر من إكراهها الذي مارسه المريد على النفس ليشد لجامها ويصرم جماحها ويتمكن من قيادها، لتصبح بعد ذلك نفسا راضية طائعة طواعية لا إكراها وقهرية.

• خصائص النفس الراضية:

ومن خصائص هذه النفس وميزاتها أنها:

1. تحن إلى الطاعة وتهفو إلى مجالس الذكر والنور محبة وشوقا ووجدا:

ليست كالنفس المطمئنة التي لا تجد لذة في المعصية ولا لذة في الذكر إنما تكون النفس الراضية أكثر تشبعا بالأنوار وتقبلا للواردات والأسرار، وإن وافق المريد حالة النفس هذه تراه يهيم في مجالس الذكر ويجد حلاوة ولذة كبيرتين.

---

[1]. سورة الفجر، 28/27

2. تشمئز من المعاصي والذنوب ومصادر الظلام:

كما أن المريد يجد تقززا في نفسه من المعصية ومن المخالفة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

3. تستقر في مقام الرضا والتسليم:

هذه النفس تساعد المرء على القرب من الله عز وجل، وتجعل المريد في حالة رضا من أمره إذا أعطي رضي، وإذا منع رضي، إذا بُسِط له رضي، وإذا قبض عنه رضي مستشعرا لاستسلامه بين يدي ربه، وبتسليمه لأمره، راض بالله تعالى، وعندما يحصل الرضا بالله وهو عدم اختيار النفس له والميل إلى اختيار الله تعالى له، هنا تحصل حالة للنفس في مقام الرضا تتجرد فيها كل التجرد عن سطوتها وسلطتها وتحكمها واختيارها إلى اختيار الله عز وجل وسطوته.



هذا مقام الرضا الذي إن تحصل عليه المريد تحصل به على سلب الاختيار فانتقل من رضاه بالله إلى رضا الله عن نفسه، لرضا الله عن نفس عبده، وبذلك تصبح النفس مرضية..

• الأذكار الموافقة للنفس الراضية:

فأما النفس الراضية فليس لها ذكر محدد وإنما ما تقوم عليه **قاعدة الحكمة أن يذكر المريد في هذا المقام من الرضا**:

1. ذكر الاسم: **الله**: (1000 مرة).
2. ذكر: **الرحمن على العرش استوى**: (1000 مرة)
3. ذكر: **يا واحد يا أحد** (1000 مرة كذلك).

خامسا: النفس المرضية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1]

• خصائص النفس المرضية:

فأما النفس المرضية من الله تعالى هي التي **خرجت من اختيارها إلى اختياره في أحوال الرضا فرضي عنها** في حالة اختياره بالبشارة لها، وإن رضي عنها تعالى **سلبها عن نفسها وأخرجها منها وجردها عن بشرية ذاتها**، وسلطة شهوانيتها، **وأقامها به وآتاها سلطته**، هي التي كانت تحب الحكم والتسلط والتجبر في أماريتها، **فتركت ما تحب لوجه الله وجاهدت وتخلت وتركت وضحت فعوضها الله سلطانا من لدنه وسرا بأمره**، وقياما بسطوته بعد أن جردها من كل بشرية وضعف وحققها به، وأقام سلطته عليها **فأفناها في إرادة أمره.**

• مقامات النفس المرضية:

فلا يكون المريد مريدا إلا إذا انتقل من الراضية إلى المرضية مرورا بخمس مقامات تنقل المريد منه إلى الله، وهي:

1. **مقام الاستسلام:** والاستسلام يكون كَرْهاً.
2. **مقام التسليم:** وهو الذي يحصل عن طواعية

---

[1]. سورة الفجر، 30.27

3. **مقام الرضا:** هو الذي يدفع المريد إلى سلب اختياره لاختيار الله، فيختار الله له مقام المرضاة، فمقام الرضا مقام يبلغه المريد بالمجاهدة.

4. **مقام المرضاة**، فيرضيه الله بما اختاره له، ويجرده من اختياراته، ومقام المرضاة يُبَلِّغُه الله له بالعناية ليُعَرِّفَه به في مقامات شتى ومعارف أتقى، ومعارج أنقى فيلقى من ربه ما يلقى...

5. **مقام المريدية:** الذي يميز النفس المرضية التي تطرح كل إرادة لها فيريدها الله، ويريد بها أمرا كان مفعولا، فيجعل إرادتها موافقة لإرادته مواجهة في توجهها لسطوة ملكه.

فإن اكتمل مقام الإرادة هذا في نفس المريد اكتملت نفسه المرضية فحينها لا يشعر بأي صراع في نفسه ولا معارضة ولا اعتراض ولا ضيق ولا استثقال، بل ولا حتى موافقة أو اختيار أو إرادة غير إرادة الله تعالى التي تمثلت فأقرت، واستترت فأسَرَّت وأظهرت فأمرت، فتيقن المريد من خاصة نفسه بربه، ومن خصوصياتها بحقيقة تجرده عن نفسه ولجوءه إلى مولاه.



مقامات النفس المرضية	الشرح
مقام الاستسلام	والاستسلام يكون كرها.
مقام التسليم	وهو الذي يحصل عن طواعية.
مقام الرضا	الذي يدفع المريد إلى سلب اختياره لاختيار الله، فيختار الله له . مقام المرضاة، فمقام الرضا مقام يبلغه المريد بالمجاهدة.
مقام المرضاة	فيرضيه الله بما اختاره له، ويجرده من اختياراته، ومقام المرضاة يُبَلِّغُه الله له بالعناية ليُعَرِّفَه به في مقامات شتى . ومعارف أتقى، ومعارج أنقى فيلقى من ربه ما يلقى.
مقام المريدية	الذي يميز النفس المرضية التي تطرح كل إرادة لها فيريدها الله، . ويريد بها أمرا كان مفعولا، فيجعل إرادتها موافقة لإرادته . مواجهة في توجهها لسطوة ملكه.

• مثال ترك المريد الاعتماد على الإرادة كمثال العصى والحية:

ويلقي المريد عصاه فإذا هي حية تسعى، فيلقي بضعفه إلى ربه فَيُحْيِي اللهُ بِقُوَّتِه عَبْدَه ويُكَلِّفُه برسالته، ولو أن العبد تمسك بعصاه التي هي مثال للضعف وللهوان، فالعصا هي ما يتوكأ عليها الإنسان إذا لم يجد قوة للمشي إلى ربه، فيتوكأ عليها وكأنها من ستوصله إلى ربه، فلا يصل ولا يُوَصَّل مادام معتمدا على نفسه، متوكئًا على ضعفه، وهوانه وإرادته واختياره، بل يوصله الله تعالى إن ألقى ما يتوكل ويتوكأ عليه إلى الله بتجرد، وفي نيته أن الله سيقيمه به، يلقي نفسه واختيارها، بشريته وضعفها، غرائزه وتجبرها، ويتخلى عنها.. حينئذ يحققها الله بالمرضاة فيسلبها عنها، وينفث فيها إرادته ليقيمها به، يؤتيه القوة والحكمة والحياة، ولا يزال المرء ميتا إن لم يُلْقِ عصاه فَتَحْيَا لتتحول من عصا جامدة ساكنة تُبْقِي المرء في عالم الجمود والسكون والحس إلى حَيَّةٍ حَيَّةٍ بالله، قوية بأمره، تنقل المريد إلى عوالم الروح والحياة. وقد كان الله قادرا بأمره أن يحول العصا في يد موسى دون أن يأمره بأن يلقيها، وهل ذلك يعجز الله سبحانه؟ وهو الذي لا يعجزه ما في الأرض وما في السماء وإن اجتمعوا مجتمعين، فلما أمره بإلقاء العصا فذلك لأن الحياة التي يحيا بها العارف لا يصلها ولا يوصلها إلا إذا ألقى عصاه وتوكله ونفسه وضعفه لنتعلم من الحكمة ما يوصلنا، ومن الشريعة ما يقيمنا، ومن حقيقة الشريعة ما يسلك بنا إلى الله تعالى، ويوصلنا إليه؛ فالنفوس بأصنافها من الأمارة إلى الراضية إلى المرضية في حالات تجردها ما هي إلا موسى وهو يلقي عصاه بين يدي ربه.

ومن المرضية في كمالها إلى كل الأصناف التي بعدها، هي الحياة الحية التي بعثها الله فأحيا بها الميت والجماد ولولا حياته الحقة لكان كل العالمين أموات، وحياة الأشباح والأجساد ليست بحياة فهي حياة جماد ضعيف، وحياة الروح هي حياة حية بأمر الله وبقوته، والتي بها ينصر دعوته ويبلغ رسالته ويحق كلمته، ويصل نفثته، ويقيم مملكته، ويدخل حضرته، ويسقي رحمته، ويرفع من بين الأستار سترته.. والحمد لله رب العالمين.

• الأذكار الموافقة للنفس المرضية:

فأما المرضية **فذكرها يتجدد في كل حين وفي كل حال** لكن ما يسير عليه المريد كمنهجية إلى أن يثبت له الحال ويصير من أهل العناية والوصال، أن يذكر:

1) ذكر: "**يا فرد يا صمد**" (1000 مرة).

2) ذكر: "**يا مريد**" في كل حين دون تحديد عدد..

3) ذكر: "**قال ألقها يا موسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**": (1000 مرة).

سادسا: النفس المستمِدَّة:

إن الله تعالى يرقى بالنفوس رقيا يسلك بها إليه، ويرفعها من انحطاطها البشري الظلماني إلى حقيقتها التي خُلِقَتْ من أجلها هي، وخلقت من أجلها الأكوان جمعا، وهي حقيقة المعرفة.

• خصائص النفس المُسْتَمِدَّة:



1) تكون مسلوبة عن نفسها فيه تعالى، مستمدة من صفاته، ومسقية من أنواره:

فإذا صفت نفس المريد وكانت راضية وأرضاها الله فأصبحت مرضية به **مسلوبة عنها فيه**، فإنها حينئذ **تستمد منه وتستقي من صفاته**، هي

حينئذ نفس مستمدة **ترد عليها أنوار الحقائق**، وصفات المعارف فيها تنغرس.

2) تكون مُسْتَمِدَّةً من النفس المحمدية فتكتمل مقاماتها:

مقامات تكتمل بها النفس البشرية حينما تبلغ إلى مقام الاستمداد من النفس المحمدية: الصدق واليقين والثبات والرسوخ، والمحبة والفناء، والكرم والجود، والقناعة والعفة والإحسان، والإيثار والتواضع والشكر.

3) **تكون مرضية من الله تعالى، فيورثها معرفته ومعرفة نبيه ﷺ:**

والمريد لا يستمد من أنوار الله تعالى ومن صفاته، إلا ورَّثه ذلك معرفة بالله تعالى، والله لا يورِّث معرفته إلا لمن رضي الله عنه، لذلك فإن مرضاة الله تعالى على نفس عبده تسبق استمداد العبد من صفات ربه، لأن ذلك الاستمداد معرفة بالله والمعرفة أعظم فضل لا يؤتى إلا لأهل الرضا ومجمع الرضوان.

والنفس في محل استمدادها تكون متوجهة لسيدنا محمد، وعن طريقه متوجهة لله سبحانه، هو الدال على الله، وهو مرآة صفاته، ومظهر وجوده، ومثال كماله..

4) تكون مندمجة مع الروح مصحوبة فيها عارجة معها:

ومن بعض خصائص هذه النفس أنها مندمجة في الروح مكنونة منها، مصحوبة فيها، والروح في هذا المقام منفتحة البصيرة منطلقة السريرة، مشاهدة للتجلي، وعارجة في معارج الصفات والأسماء من عالم القِدم

الروحي إلى عوالم خلق الله، تستقي الروح من كل صفة تمظهرت في سيدنا محمد وتجوهرت في جوهره، والنفس أثناء اصطحابها في الروح تكتمل في هذه المقامات التي تزورها الروح.

5) تكون مُخْتَبَرَةً بابتلاءات إقبال الخلق وإعراضهم، وبامتحانات اليقين في المشاهدة:

كما أن من خصائص هذه النفس أن المريد إذا بلغت نفسه فأصبحت نفسا مستمدة انكشف له الحجاب وخاض في عوالم المعرفة يستقي من الأنوار والصفات، وفي نفس الآن تتنزل عليه من الله رحمة الابتلاءات يُخْتَبَر فيها ويمتحن، وهي أصعب مرحلة اختبار يمر منها المريد في سيره، يختبر بالخلق، ويختبر حتى في مشاهداته قد يرى شيئا وقد لا تتحقق رؤياه ليرى الله سبحانه أيثبت يقينه أم يزول؟ ويُخْتَبَرُ أيضا بتمجيد الخلق وتعظيمهم له ليرى الله تعالى هل سيحتقر نفسه ويتواضع؟ ويستمد من صفات سيدنا محمد أم أن نفسه قد تطغى ولا تتصف بهذه الصفة المحمدية.

ويكون المريد في هذه المرحلة أغلب وقته في مشاهدات غيبية، وفي اختبارات كونية، **فأما المشاهدة فهي جلب للنور من النفس الكاملة في عوالم الروح من عوالم القدم الأزلي، بلا نفس الإنسان.**

وأما الاختبارات فهي غرس وتثبيت لذلك النور ولتلك الصفات في أوصال النفس وعروقها لكي يحصل الموازنة ما بين ظاهر المريد وباطنه، ما بين سر روحه وثمرة سلوكه، ما بين الصفة المنسوبة والصفة المخلوقة.

• الأذكار الموافقة للنفس المُسْتَمِدَّة:

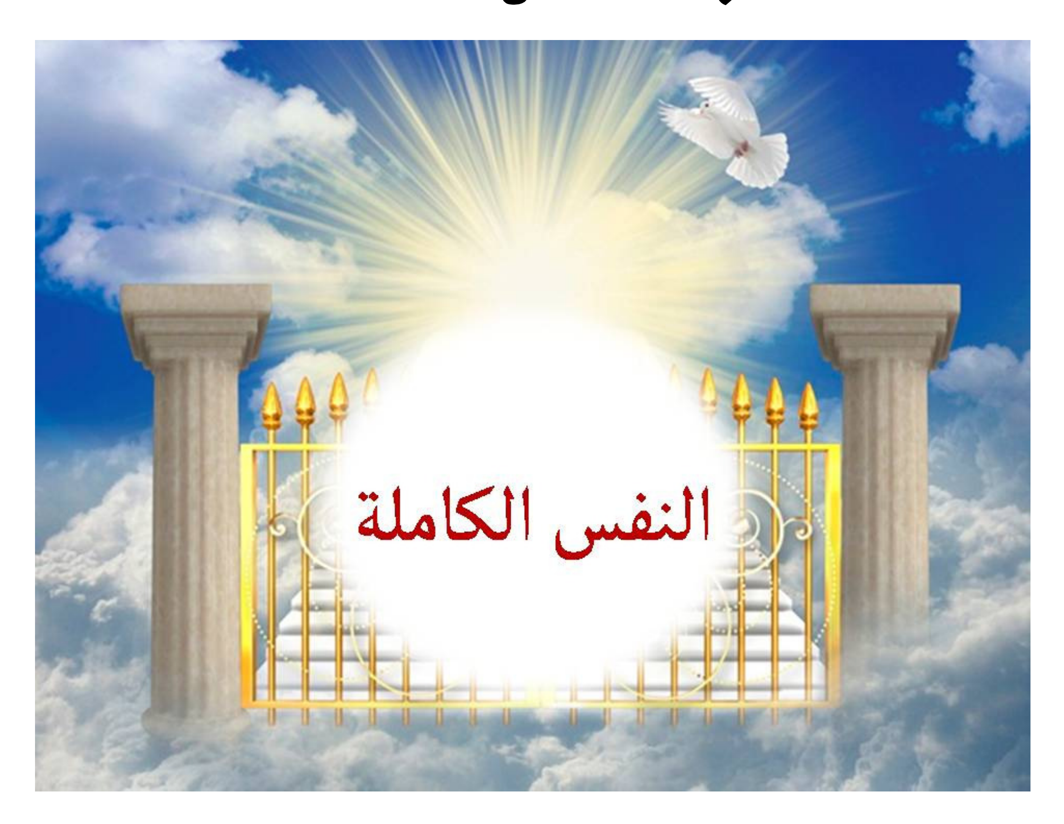
ومن الذكر الذي يعطى للمريد في هذه المرحلة هو:

1) ذكر **"أسماء الله الحسنى"** جملة أو تفصيلا، مع مراقبة الصفات، ومشاهدة الأسماء، من حضرة سيدنا محمد، مع الاستمداد من نفسه..

2) ذكر: **"يا عظيم"**: (2000 مرة).

حتى إذا اكتملت النفس المستمدة وانغرست فيها كل الصفات وتحلت بكل الأسماء وفنت عن البشرية وتعرفت على خصائص الألوهية، كملها الله بكماله وخصها ببراءه، وكملها من عنده، فسميت بالنفس الكاملة...

سابعا: النفس الكاملة:



والنفس الكاملة هي التي **خاضت كل مراحل التطهير والمجاهدة وارتقت في كل مدارج التحقيق والمشاهدة**، هي التي **فنت في الروح فناء جعلها والروح واحدة**، وصارت نسخة لا تنفصل عن النفس المحمدية الكاملة.

في هذه المرحلة فقط **تكتمل للمريد التربية** ويتحلى بكل **مقامات التحلية**، يُلْبِسُهُ الله من سر صفاته حِلْيَةً، ومن نور مشاهدته حُلَّةً، ويجعل من قلبه قِبْلَةً، ومن روحه رحمة، ومن عقله حكمة، ومن نفسه نسمة طيبة من نسائم الحضرة المباركة، **والمريد هنا يصبح عارفا بربه يؤتى**

أوراده من الحضرة، ويذكر الله بقلبه في السدرة، غير محتاج إلى وقت من الذكر ولا زمان من السرد، هو **في كل أوقاته ذاكر،** وفي **كل حالاته على الحضرة شاهد، وللذات المحمدية مُشَاهِد، ولأرواح العالمين قائد، وعلى طرق السالكين إمام رائد،** يصل بالله كل مريد قاصد، فهو لله بظاهره مطيع عابد، وله بروحه مشاهد ساجد، خلصه الله منه ورقاه إليه، عرَّفه به ودلَّه عليه، سقاه منه وأرشده إليه، فذلك المفلح الذي لا يخشى بعد يومها خوفا ولا حزنا، ولا طردا ولا بعدا، لا شقاوة ولا يلقى لعهده نقضا، وكيف ينقضه مِنْ بعدما وَفَى به !!، وكيف يتخلى عنه من بعد أن عَرَّفَه عليه !!، وكيف يكون غيره من بعد أن ترك الغير كله !!، وكيف يكون حاضرا في صورة البشرية وهو هو...

والحمد لله رب العالمين.

معايير تقييم أنفس المريدين؟

• المجموعة الأولى:

1. هل تشعر بأن نفسك تدفعك للمعصية وتحول بينك وبين فعل الطاعة؟

2. هل تستحلي المعصية مع عدم الشعور بالندم أو الحياء أو التقصير أثناء أو بعد ارتكابها؟

3. هل تستثقل جلسات الذكر خاصة الأوراد والأذكار الفردية؟

4. هل تشعر بعدم القدرة على تقبل الآخر أو التعامل والتعايش معه؟

5. هل يصاحب هذا الرفض للآخر شعورا بالاستعلاء والاستكبار عليه؟

6. هل تشعر بهواجس عقلية سيئة وخيالات مريضة وأفكار شنيعة وخبيثة نحو إخوانك (أخواتك) في المنهج، يصعب الإفصاح عنها حتى للمرشد؟

• المجموعة الثانية:

1. هل تشعر بالتأرجح في السير بين البرود والجمود وبين الحماس والتحفز؟

2. هل تتوقف بين الفينة والأخرى عن أذكارك ومنهج التزكية ثم ترجع إلى ذلك بعد مدة، ثم تتوقف ثم ترجع؟

3. هل تعتريك أحوال الخشوع والحلاوة والبكاء في مجالس الذكر، ولكنها ما تلبث إلا فترة مؤقتة ثم تزول وترجع للغفلة؟

4. هل تستحلي مجالس الذكر حينما تكون مع الذاكرين، وتستحلي مجالس الغفلة واللهو حينما تكون مع الغافلين؟

5. هل تشعر بأنك منافق في علاقتك مع ربك ومع شيخك؟

• المجموعة الثالثة:

1. هل تشعر بحالة من الاستقرار في أمور الشريعة، وفي الحفاظ على التزكية؟

2. هل تشعر بأن فقدان الحلاوة والخشوع لا يمنعك من القيام بأعمالك اليومية من أذكار وأوراد وصلاة نوافل وقيام لليل؟

3. هل تشعر بأنك تقوم بأعمالك وأذكارك دون حلاوة ولا ثقل؟

4. هل تشعر بأن نفسك اطمأنت إلى أمر المرشد وسلمت له ولم تعد تنازعك في تعاليمه ولا أحكامه؟

5. هل تشعر بأن نفسك لا تدفعك للمعصية الواضحة الجلية وإنما تتحرك فيك صفاتها الخبيثة تحركا ضعيف الشوكة تقتصر على بعض الخيالات والخواطر السيئة دون الانتقال للفعل؟

• المجموعة الرابعة:

1. هل تحن نفسك إلى الطاعة باستمرار وتهفو إلى مجالس الذكر والنور محبة وشوقا ووجدا؟

2. هل تشعر بالاشمئزاز والتقزز من المعاصي والذنوب ومصادر الظلام؟

3. هل تشعر بأن حالك يطغى عليه الرضا والتسليم سواء بالعطاء أو المنع؟

4. هل تشعر بأنك خاضع طواعية لله ولرسوله ولتوجيهات مرشدك؟ مع عدم الشعور بالامتعاض أو الاعتراض على أمر الله تعالى ورسوله وأمر مرشدك؟

نتائج التقييم:

المجموعة الأولى: إذا كان الجواب: نعم (3 مرات أو أكثر): تكون النفس أمارة بالسوء.

المجموعة الثانية: إذا كان الجواب: نعم (3مرات أو أكثر): تكون النفس لوامة.

المجموعة الثالثة: إذا كان الجواب: نعم (3مرات أو أكثر): تكون النفس مطمئنة.

المجموعة الرابعة: إذا كان الجواب: نعم (3مرات أو أكثر): تكون النفس راضية.

أما باقي النفوس الثلاثة الأخرى (المرضية والمستمدة والكاملة) فهي فضل من الله عز وجل، وتُؤْتَى للمريد بعد التضحية والمجاهدة حيث تهب عليها نسائم الرضا والاستمداد والكمال.. فيعيش بها المريد حياة محمدية مستقية من صفاته، ساقية باقي الخلائق منها.

خلاصة:

بسم الله الرحمن الرحيم، عالم الغيب والشهادة، صاحب السر ومحقق الإرادة، من إليه تتوجه الأرواح بالشهود وتتوجه إليه الأجساد بالعبادة، وصلاته وتسليمه على سيدنا محمد صاحب القيادة، من أوتي له في تهذيب النفوس الريادة، بمشاهدته تتحقق الأرواح بالسعادة، وتتحقق في باطن غيبها بسر الشهادة، ونشهد: "أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" شهادة تُخَلِّص العبد من كل شرك بالله سبحانه، ومن كل التفات لغيره، وخضوع للأنفس شهادة تمنع نفوسنا الأمارة من القيادة، وعلى آله وأصحابه وكل من سار على نهجه من أهل الهمة والإرادة.

هذا المنهج قريب العهد بربه، موصول السر بإذنه، مُتَنَزِّل الحرف في لوحه، أقرب ما يكون إلى تطهير العبد من ظلمانية نفسه، نهج أُذن له في هذا الزمان بالظهور هو لأنفس العالمين مُطَهِّرٌ طهور، يسمح لكل سالك بالعبور إلى حضرة السر المكنون وإلى مُنَزِّل القدر المقدور.

لعل المرء إذا سار على هذا النهج طال به الأمد وشعر بتمدد المسافة ودنو الهمة فذلك أمر يحبط المريد إذا لم يكن من أهل البصيرة، أما إن كان من أصحاب الفهم والتحقيق فإنه يرى بأن طول مدة تزكية النفس أو قصرها راجع إلى كثرة التفات المريد أو قِلَّتِه، فأما السالكون صنفان:

1. سالك حدد وجهته ووضع مقصوده، وسار إليه حتى أدركه.
2. وسالك حدد مقصوده، وكلما سار مدة من الزمن عاد وأتلفه، والتفت إليه أي إلى نفسه، والتفت إلى الخلق وإلى الملهيات، وتعلق بالمغريات

ثم عاد ليكمل، وسار على النهج مدة ثم حصل له التفات من جديد فذلك تطول مدة تزكيته وطهارته، وقد لا يصل إلى المقصود في حياته إلا إن تداركه الله برحمته.

فهذه الحياة أقصر من أن يسير فيها السالك ويقف، ثم يسير ويقف، ويظل كذلك بقية عمره، فذلك غالبا لا يصل، وحتى إذا وصل يكون ذلك بعد فترة طويلة من الزمن، لهذا **فالثبات وقلة الالتفات نصائح نهديها إلى من أراد الوقاية من الشتات**، وإلى من أراد الوصول إلى رب الأرض والسموات، ودخول حضرة القرب والمناجات، والفوز بالأنس والمكاشفة والخطابات، نوصيه ونكرر **الوصية بالثبات، وبقلة الالتفات، وباليقين في الله** الذي يسلك إن شاء بالعبد مسالك النجاة..

والحمد لله رب العالمين.

الكتاب الثاني:

حقائق الذكر

شروطه ومقاصده

أولا: حقائق الذكر التي يتدرج فيها السالك لتعود روحه إلى الله تعالى

الحمد لله رب العالمين حمدا أزليا في ذاته، الحمد لله رب العالمين حمد سيدنا محمد ﷺ الذي حمدك به في غار حراء، الحمد لله رب العالمين حمد معرفة وتلقين، الحمد لله رب العالمين حمد سلام وتسليم، الحمد لله رب العالمين الذي عرف العباد عليه، الحمد لله رب العالمين الذي سن سبيل السلوك إليه وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد صاحب سر الحمد وتنزلات المحمود، صلاة الله على سيدنا محمد صاحب الخلوة وصاحب الاتصال، صلى الله وسلم على سيدنا محمد صلاة تحققنا بها بمعرفته وباتصاله وبحمده.

أما بعد، فإن الله عز وجل هو الكريم الجواد الذي كان متفردا بذاته فخلق أرواح الخلائق أجمعين وجمعهم في عالم هو عالم الأرواح، خلق الأرواح منه، وجعلها نفحة من نفحات جماله ونطفة من أنواره، وسرا من أسراره، ولطيفة من نسائم محبته ووده. هذه الأرواح هي منه عز وجل خلقها فَعَرَّفَهَا عليه، وخاطبها خطاب الجمال بقوله: (ألست بربكم) ولقنها حينئذ خطاب المعرفة فقالت: (بلى).

عَرَّف الأرواح عليه ووصلها به وأوصلها إليه؛ فكانت الأرواح حينئذ مكرمة بالمشاهدة تشاهد تجليات الله عز وجل في كل وقت وحين، مكرمة بالمخاطبة تسمع خطابه عز وجل في كل لحظة، ومكرمة بالمصاحبة، وهي حالة من أحوال القرب من الله عز وجل، وحالة من أحوال الحضور تجعل

الروح فانية في الله عز وجل وفي معيته، حينئذ حظيت الأرواح بمعرفته، وبلذة القرب منه، وبسعادة الاتصال به، وبجمال النظر إليه، وبمحاسن سماع خطابه.

ثم شاءت حكمة الله عز وجل أن يخلق معدن الإنسان من النسيان فأودع الله عز وجل في سر تكوينه وخلقته قلبا وجسدا وعقلا ونفسا وروحا؛ فكان الجسد هو ما يخلد به إلى الأرض، وكان القلب هو المحرك الذي يُسَيِّرُ الجسد ويوصل أسرار الروح إليه، كأنه باب، حتى لا يحترق الجسد بنورانية الروح، فمن الطبيعي أن الجسد طيني بطينيته يركن إلى الأرض ويخلد إليها، يركن إلى الملذات الدنيوية الشهوانية ويهيم فيها، أما الروح فهي لطيفة قدسية إلهية تشتاق لمحبة الله عز وجل وتتلذذ بمشاهدته وترقى في مراقي القرب ومدارج المشاهدة وتهيم في ساحة النظر إلى الله عز وجل، فكيف لهذه أن تحل في ذاك!؟ وكيف لهما أن يجتمعا!؟

لكي تجتمع الروح والجسد خلق الله عز وجل مكون القلب وكأنه محول يحول طاقة الروح إلى الجسد، ويفرض على الروح بعض حاجياته لكي يستطيعا التوازن والعيش وهما متصلان في عالم واحد.

وخلق الله عز وجل العقل أيضا وقد عقل به؛ أي ربط به الروح على أن تفلت من زمامها وترجع وتنفصل كل الانفصال عن الذات في تجليات المشاهدة، وقد جعل العقل مسيرا للجسد ومسيرا للروح أيضا؛ فالعقل مكون يشترك فيه الروح والجسد كما هو حال القلب أيضا، كأن القلب صمام كهربائي يمنع الجسد من الاحتراق بأنوار الروح. فلما وصل الله عز وجل الجسد والروح أولا بالقلب، خلق بعدهما العقل فعقل الروح به،

وعقل به الجسد، فحينئذ حدث الاتصال الفعلي بينهما أي بين الروح والجسد، وهذا الاتصال نتج عنه مكون آخر هو النفس.

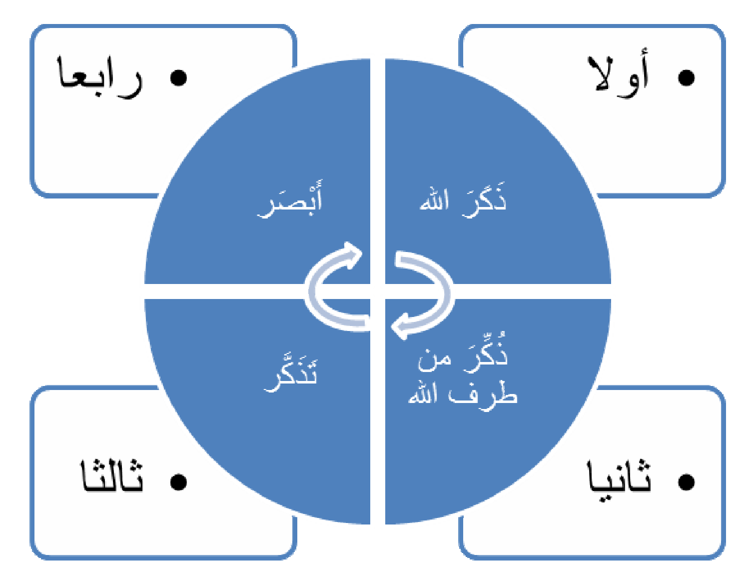
بدأت أنوار الروح تصل إلى الذات، وبدأت شهوانية الذات تمس الروح عن طريق المكونين ـ القلب والعقل ـ فحصل امتزاج بينهما، هذا يريد أن يركن إلى الأرض ويغرق في لذاتها، وهذه تريد أن ترقى إلى السماء وترجع لعاداتها، ومن عاداتها النظر إلى الله عز وجل، ومن عاداتها مناجاته وسماع خطاباته. فنتج المكون الثالث الذي هو النفس وهي مزيج بين الروح والذات.

في النفس فقط استطاع هذان المكونان أن يتعايشا ويستقرا في عالم واحد وفي ذات واحدة، لكن هذه الذات فيها صراع كوني؛ صراع ما بين نور الروح وظلمانية الجسد، هذا الصراع الذاتي هو الذي نتج عنه الصراع العالمي أو التنافر الدائم ما بين الخير والشر، ما بين النور والظلام، ما بين الحق والباطل.

هذه الصراعات في العالم أجمع أصلها من النفس، أصلها هذه الحالة التي اجتمعت فيها الروح بالجسد، وعندما سوى الله عز وجل الذات وجمع فيها كل هذه المكونات أوحى إليها خطابه، فَسُمِيَّ هذا المخلوق إنسانا وبُعِثَ إلى الأرض من أجل الامتحان فغلب على الإنسان طابع النسيان؛ فقد نسيت هذه الذات التي اجتمعت فيها سائر المكونات لذة المخاطبة الروحية ولذة المشاهدة التي كانت تعيشها الروح وسعادة القرب والمصاحبة وجمال محاسن الخطاب والمخاطبة، وبقي الإنسان يشعر في كلية ذاته أن هناك سعادة حقيقية، أن هناك لذة أبدية، أن هناك رقيا واتصالا. هذا ما خلفته حقيقة الروح في ذات الإنسان، خلفت شوقا وفراغا يشعر به

الإنسان ولا يتذكره، يشعر بأنه محتاج لأمر ما ولكن لا يستطيع أن يتذكر ما هو.

• فكيف يتذكر الإنسان سر الروح ويرجع إلى هذه اللذة والمشاهدة؟



يتذكر الإنسان بالذكر فمن ذَكَرَ ذُكِّرَ فتذكر ومن تَذَكَّرَ أبصر، أليس هو الذي يقول في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[1]؛ فالإنسان يذكر الله عز وجل حتى يَمُنَّ الله عليه فَيُذَكِّرُه، فإذا تَذَكَّرَ أبصر، وإذا أبصر عادت الروح لحقيقة المشاهدة وتمتعت بنعيم المخاطبة، فهي حينئذ عارفة بربها ترجع كما كانت من قبل، لهذا فللذكر شأن عال ورفيع في أمر السلوك إلى الله

[1]. سورة الأعراف، الآية: 201

عز وجل وإعادة الروح إلى فنائها في نعيم الألوهية، ذلك النعيم الذي مَنَّ الله عز وجل به عليها في عالم الأرواح.

- فما هي آداب الذكر؟
- وكيف يستنفع المريد منه؟
- وكيف يجعل ذكره تذكرا لأصله ولحقيقة روحه؟
- وما هو السر فيه الذي يصل الأرواح بربها؟

• خصائص الذكر الذي يصل المريد بالله:

1) الإذن المحمدي (الشيخ المرشد) المتصل بمشكاة النور الإلهي:

فإذا شاء الإنسان أن يتذكر أمرا سبق له معرفته فإنه يحتاج إلى بعض آثاره؛ فإذا أراد أن يتذكر حدثا ما فإنه بمجرد أن يلتقي ببعض الأشخاص الذين كانوا معه في ذلك الحدث، أو بعض الأشياء التي كانت معه خلال ذلك اليوم فإنه يتذكره.

وقد تحدثنا عن الأشخاص والأشياء، لهذا فلابد للإنسان أن يلتقي بمن اجتمع به روحيا في سابق العهد وقديم المخاطبة في عالم الأرواح، وهو شيخه المرشد الذي يأخذ بيده إلى الله عز وجل ويسلك به إليه. وهذا الشيخ المرشد يكون متصلا مدركا متذكرا لما كان في السابق يعيشه في حالته؛ أي يكون قد رجع إلى الله عز وجل وعُرِّفَ عليه فتعرف عليه فعرفه، لهذا يكون موصولا بنوره، وبنوره يستطيع أن يَمُدَّ غيره ممن يطلبون السلوك.

2)الذكر النوراني المأذون:

يتوجب على الشيخ المرشد أن يعطي ذكرا مأذونا للمريد، يكون الذكر حاملا لأنوار قديم العهد، ولأسرار سر الخطاب وجمال المشاهدة وكمال اللقاء..

- **حقائق الذكر ومقاماته:**

بعد أن يتلقى المريد ذكرا مأذونا مُوصِلًا فإنه يتدرج في عدة حقائق ومقامات حتى يرجع إلى الله تعالى، منها:



• حقيقة التعظيم:

أول ما يتوجب على المريد السالك إذا أخذ الذكر من شيخه والتقى به هو أن يُدْرِكَ بأن باب الله عز وجل فُتِحَ له، وبأن باب معرفة الله عز وجل فُتِحت له، وبأن باب السعادة المطلقة والغنى المطلق والاتصال الدائم مفتوح أمامه الآن.

لهذا قال بعض من سبقونا بأن من أوتي الذكر فقد أوتي منشور الولاية، وهذا كلام حق لأننا الآن قد فسرنا ما هو الذكر وكيف يستطيع أن يوصل المرء ويصله بحقيقة روحه في صفائها القديم. فإذا لم يكن المريد عارفا بقدر الشيخ، وبعظم الذكر، وبعظم النور الذي فيه، وبعظم الإذن الذي يشمله، وبعظم السر الذي يتنزل فيه فإنه لا يستنفع منه ويكون حاله كحال العابث اللاعب اللاهي، لا كحال المريد الصادق الفاني، لذلك عليه أن يعرف عِظَمَ الفرصة التي مُنِحَت له من أجل معرفة الله عز وجل، ومن أجل التحقق بأعلى مقامات الصديقية والغوثية والفنائية.

• حقيقة إفراغ الكأس:

الأمر الآخر الذي يجب على المريد التحقق به، هو أن يجلس لِوِرْدِهِ وليس في قلبه أحد من الخلق أو من الحوادث أو من الأحداث أو من الأشياء غير مقصدية ربه، أي أن يجلس مشتاقا إلى الله عز وجل طالبا له.

وأكثر المريدين في منهجنا هذا أو في غيره.. يجلسون وقد امتلأت قلوبهم بالدنيا والخلق، هم يذكرون الله عز وجل وهم يتفكرون في الناس، ماذا

فعل هذا؟! وماذا قال ذاك؟! وما الذي يجب أن أفعله معه غدا !؟ فهؤلاء لا يستنفعون بالذكر بثاثا، ولا تصل إلى قلوبهم حتى ذرة من أنواره، ولو وصلت إليه ذرة من أنوار الذكر لأغنتهم عن الدنيا وأفنتهم عن الخلائق وسارت بهم حتى أوصلتهم إلى الله عز وجل.

لهذا على المريد أن يُفْرِغ نفسه، ويفرغ كأسه، ويفرغ فكره وقلبه من كل شيء قبل بداية الذكر، وأن يجلس متفرغا لله عز وجل في ظاهره وفي باطنه، لأن الإنسان إذا لم يتفرغ لله فإن الله عز وجل لا يتفرغ له ولا يتوجه إليه، وإذا لم يتوجه إليه الله بنظرة يُذَكِّرُهُ بها حقيقة معرفته، وحقيقة كرمه، وحقيقة مشاهدته، فإن المريد لن يتذكر ولو ذكر ما ذكر ولو ذكر آلاف السنوات.

لهذا على العبد أن يتفرغ تفرغا كليا لله عز وجل في الظاهر بأن لا يلتفت في ظاهره ولا يتكلم ولا يشير ولا يتحرك، وأن يتفرغ في باطنه بأن لا يتفكر في غير الله ولا يلتفت إلى غيره، وأن لا يدخل بنية وبمقصدية غيره، يجب أن يدخل فارغا يريد الله عز وجل حتى ينظر الله إليه نظرة يُعَرِّفُهُ بها عليه ويُوصِلُهُ بها إليه.

• حقيقة الاشتياق الوجداني (قبل تذكر الروح):

ينبغي على المريد أن يجلس للقيام بأوراده وهو مشتاق لله سبحانه، وكيف يشتاق إليه؟ يشتاق إليه عن طريق تذكر كرمه؛ فيتذكر فضله ونعمه، وأن الحياة هي الحياة معه، وأن الفوز هو رضاه، وأن السر هو الوصول إليه، وأن كل ما عداه باطل، وأن كل ما سوى الله عز وجل آيل

إلى الفناء، مائل إلى الزوال حُقَّ له الاندثار، وكل من عليها فان ويبقى وجه ربه ذو الجلال والإكرام.

• حقيقة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾:

يجب على المريد أن يَذْكُرَ الله بالفناء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1]. هذه ليست فقط من الوقائع التي ستتحقق حينما تقوم الساعة ويُفْنِي الله عز وجل العالمين، بل هي أول باب من أبواب ذكر الله عز وجل ذكرا يُذَكِّر المرء، ويُذَكِّر الروح بمحبتها وبمعرفتها، فإذا دخل المريد إلى الذكر وقلبه لم يتشرب هذه الحقيقة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فإنه لا ينتفع بالذكر حقيقة الانتفاع.

ينبغي على المريد كذلك أن يذكر الله عز وجل وهو لا يرى على الأرض ولا في السماء ولا بينهما أي مخلوق، يذكر الله عز وجل وهو لا يرى حتى نفسه، فحتى نفسه فنت بفناء العالمين، وزالت بزوالهم، إنما يبقى وجه الله فيذكر الله بأنه الله ولأنه فَرْضٌ أن يذكر.

هذه الحقيقة إذا لم تستوي في قلب المريد استواء إدراك وتحقيق فإنه لا ينتفع بالذكر انتفاعا مُوصِلا إلى الله عز وجل. ونعيد الخطاب بأصل النور ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾،

[1]. سورة الرحمن، الآية: 27.26

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، ويبقى الله.

هذه مدارج ومستويات في هذه الحقيقة يسلك فيها المريد إلى الله سبحانه، أما إذا لم يتذوقها فهو غير ذاكر.

• حقيقة الصحبة:

على المريد أن يذكر الله عز وجل وهو متوجه إليه في صحبة من سيصله به، وهذا أمر هام جدا لأن المرء لا يتحقق بحقيقة فناء العالمين وبقاء وجه الله إلا إذا أذاقه من معناها ومن كأسها ومن خمرتها مَنْ هُوَ مُتَحَقِّقٌ بها، من بقلبه فنى العالمين وبقي وجه الله، قلب الشيخ المرشد والعارف المصحوب هو قلب كل العالمين فانية فيه ووجه الله فيه وحده باق، لذلك فالتوجه إليه في حالة الذكر بالتعظيم والمحبة توجه لله عز وجل ينسي المريد في العالمين ينسيه حتى في نفسه ويوصله إلى حقيقة البقاء الإلهي.

• حقيقة غار حراء:

على المريد أن يذكر الله عز وجل في غار حراء ذكر سيدنا محمد ﷺ لربه فيه وخلوته مع الله تعالى أثناء وجوده هناك، هو غار يغوص فيه المرء في أعماق نفسه وأعماق ذاته فيدرك من هو، وإذا أدرك من هو أدرك روحه وإن هو أدرك روحه فروحه تعرف ربه، لهذا **فغار حراء ليس مكان**

من الأمكنة التي خلدها التاريخ والتي حصلت فيها أحداث الدعوة الإسلامية فقط، إنما هو مكان يختلي فيه المرء بنفسه ويغوص في أعماقه حتى يُعَرِّفَهُ ربه عليه، ويتنزل بالإذن عليه ويتنزل بالوحي في سره ويتنزل بالخطاب في روحه.

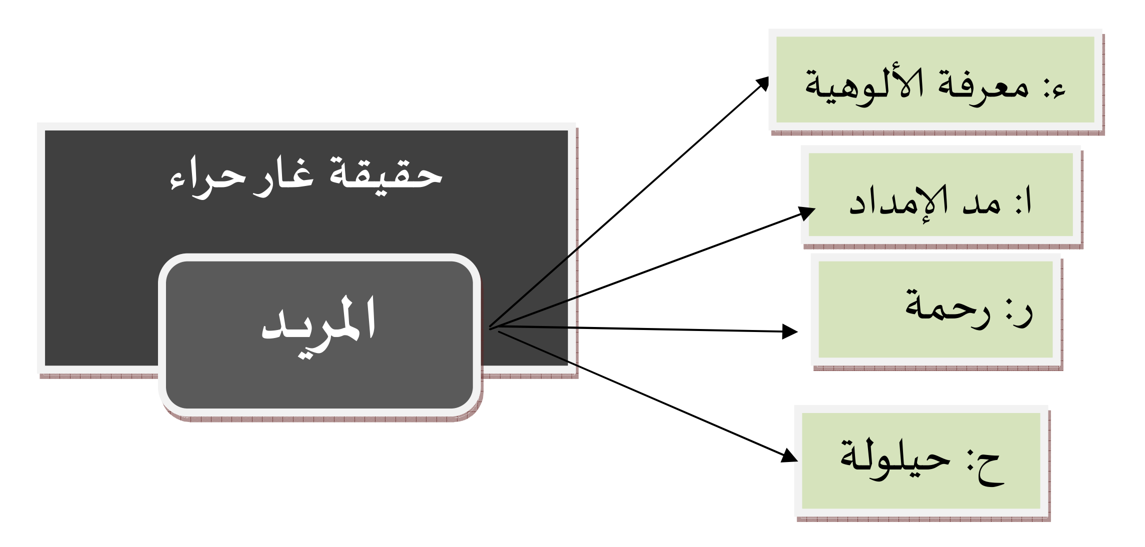
وهذا ما علمنا إياه سيدنا محمد ﷺ فهو في حين بشريته، كان يشعر بنبوءته وبرسالته ويشعر بخصوصية خصه الله عز وجل بها، ويشعر بحقيقة الاتصال بالله، ولكنه ما كان متذكرا لكليات قبضته النورانية ولأحمديات محموديته السرمدانية لأن البشرية حينئذ غَلَّفَت ذاته، ولكن حتى في تلك البشرية تعليم لنا وليس انتقاصا من قدره؛ فجاء إليه سيدنا جبريل الذي كان مع روحه حينما كانت في قديم اتصالها بالله عز وجل. لذلك على المريد أن يتخذ شيخا كان مع قديم روحه حين كانت في عالم الأرواح، فدخل سيدنا محمد وهو الذي يعلمنا العلم الحق إلى غار حراء فاختلى بربه وغاص في أعماقه وفَنَت عنده العالمين، وذكر الله عز وجل ذكر التائبين وذكر المستجدين وذكر الطالبين وذكر من يريدون القِبْلَةَ يبحثون عليها يريدون الله عز وجل.

وفي تلك الخلوة خصوصيات وفي ذلك الغار أسرار يُدْرِكُهَا المريد في روحه، وليس في حقيقة الكلام الذي يريد البعض أن نذكره كله في هذا الخطاب، إنما نحن أشرنا إشارة إلى هذا المقام من مقامات الذكر، وأما من أراد أن يذكر ذكرا يوصل إلى الله عز وجل فإنه سيعلم سر هذا المقام وسر أنوار غار حراء.

يَدْخُلُ العبد إلى حِرَاء فيلتقي أول ما يلتقي بالحاء وهي حاء حيلولة زمنية ومكانية حالت بين الروح وبين اتصالها بالله عز وجل، فإن هو صدق في ذكره أزاح الله عنه الحاء وعَرَّفَه على الراء، تَجَلَّى عليه برحمته وهي راء الرحمة، فإذا رحمه مده بالمد وبالإمداد النوراني والقدسي والمحمدي والإلهي الذي يرفعه إلى معرفة الألوهية وسر الربوبية.

فحقيقة غار حراء هي خلوة تعرف المريد بسر الحاء والراء والمد والهمزة، وهي باختصار: **حاء حيلولة وراء رحمة ومد وإمداد وألف معرفة بالألوهية.**

فالذكر في هذا المقام يرفع المريد من حيلولة ذاته عن معرفة روحه إلى سر الألوهية وفنائه في مشاهدتها.



هذا ما نذكر الآن في هذا الباب ونكمل بعد ذلك بإذن الله عز وجل في ذكر الحقائق.. والحمد لله رب العالمين.

ثانيا: حقائق الذكر التي تُؤْنِسُ المريد وتُعالِج باطنه

بسم الله الرحمن الرحيم الذي فرض التوبة لعباده، بسم الله الرحمن الرحيم الذي سن لعباده سنة الرجوع إليه بعد الخطيئة، الحمد لله رب العالمين الذي فتح لعباده باب الذكر، الحمد لله رب العالمين الذي دل الخلق عليه وأرشدهم إليه، الحمد له والشكر له على أن جعل لطريقه مفتاحا ونهجا وذكرا، الحمد له والشكر له على أن جعل لسبيله مرشدا ومعينا ومذكرا، وصلاة الله وسلامه على سيد المرسلين وإمام الذاكرين مفتاح باب الله ومدخل حضرته ومحط تنزلاته وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، إن الله تعالى خلق الإنسان فسواه وبعثه إلى الأرض اختبارا وامتحانا وجعل له سبيلا ليسلكه وطريقا ليسير إليه، وقد جعل للإنسان في هذه الطريق صحبتين:

- صحبة شيخ عارف.
- صحبة ذكر مؤنس.

فأما الشيخ فقد تحدثنا عنه وعن ضرورته في سبيل السلوك إلى الله عز وجل، وأما الذكر الذي يؤنس وحشة المريد ويعالج أمراض باطنه والتفاتات قلبه وهواجس نفسه ووساوس عقله هو ما سنتحدث عنه الآن بإذن الله عز وجل.

ومما يعترض المريد أثناء قيامه بالذكر أنه يجد شرودا كبيرا في العقل، وتجده لا يستطيع التركيز على الحضور مع الله عز وجل، ولا على المعية، ولا

على صفاء حاله، وإنما تهب عليه عواصف الخلق وتعلقاته بهم فيشرد عقله في التفكير، وفي التذكر وفي كل ما يلهي عن الله تعالى؛ فعدم صفاء المريد أثناء ذكره يحجب عنه أنوار الذكر وخصوصياته. فكيف يتحقق له هذا الصفاء؟ وكيف يلغي وجود العالمين والخلائق ويمنع شرود عقله وفكره أثناء جلسة الذكر؟

هذا الأمر مرتبط ارتباطا وثيقا بمنهج تزكية العقل واستحضار معية الله تعالى، فإذا كان للمريد معية[1] في الذكر فإن ذلك ينعكس على معيته طيلة اليوم وعلى حضوره، وإذا كان له حضور طيلة اليوم يتذكر فيه الأدعية والسنن ويحاول أن يُبْقِي ارتباطه بالله عز وجل، فإن ذلك ينعكس في ذكره أيضا، فتجده أكثر حضورا واتصالا، لذلك على المريد أن ينهج منهج تزكية العقل لِيُقَوِّي حضوره مع الله، هذا الحضور يحارب كل الأفكار والشوارد التي تهب على عقل الإنسان فتمنعه من لذة الأنس بالله عز وجل.

وما يمنع المريد أيضا من فناءه في الذكر وهيامه في المذكور هو انشغالات حسه؛ فتجده يشعر بذاته وقد تجده يتفاعل بها مع العالم الخارجي، يستمع بحواسه إذا كان هناك حديث حوله، ويفكر بعقله، وقد يتحرك جسده، وقد تفتح عينه وتغلق مرارا، وقد يلتفت إلى الحاضرين أو إلى هاتفه أو إلى بعض الملهيات والمغريات، فإذا تفاعل الجسد مع عالم الظاهر منعت الروح من التفاعل باللذة والشوق مع عالم الباطن، لذلك على المريد أن يسكن في ذاته سكونا كليا ويتوجه إلى الله عز وجل توجها قلبيا فلا يَشْعُرُ ولا يُحِسُّ في حالة الذكر بغيره، ولا يسمع خطاب غيره ولا يراه.

---

[1]. أي أن الله معي، يراني، ويسمعني.

• حقيقة ذكر الله للعبد:

ومن الكرامات المحققة في الذكر التي يجب على المريد أن يتخذها وسيلة إلى الله عز وجل لتحقيق القرب منه، هي كرامة ذكر الله للعبد الذاكر، فهو تعالى يقول في الحديث القدسي: **{أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم}**[1]. فالله عز وجل يَذْكُرُ العبد أثناء ذكر العبد له، لذلك يجب على المريد بعد أي يجتاز كل العوائق والعوارض وأن يتحقق بحقائق الذكر التي سبق ذكرها أن يصل إلى حقيقة ذكر الله لعبده؛ فيصبح مستحضرا لهذه الحقيقة مستعظما إياها لا يرى ذكره فقط، ولا يرى عمله فقط، وإنما يرى تنزل الله سبحانه فيه، وتجليه عليه بالذكر، وتجده يرتفع إلى هذه الحقيقة فيذكر فيها وكأن الله يذكره، وهذا ما يزيد أدب المريد، وما يزيد حياءه، وما يزيد فناءه، وما يزيد شوقه وهيامه، لأن المحب يتنعم بذكر الحبيب، فكيف لا يتنعم ولا يفنى إذا ذكره حبيبه؛ فذكر الله عز وجل للعبد يُفْنِي العبد عن ذكره في ذكر الله له، فيذكر حينها بذكر الله ذكرا يسلبه عن الحس ويسلبه كذلك عن المعنى لِيُدْخِلَهُ في مراقي الفناء والمعرفة بالله تعالى.

---

[1]. ورد في حديث قدسي صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما :أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: {أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم}.

• حقيقة معارف الذكر الساكن والمتحرك:

حينها يُرْفَعُ العبد ليتعرف على سِرِّ الذكر وعلى سكونه وعلى حركته وعلى تفاعله في الذات العَلِيَّة، وفي الأكوان المبنية، وفي المكونات الكلية، وفي كل جزئية صغيرة كانت أو كبيرة من هذه المجرات الكونية، لأن ذكر الله عز وجل هو الذي يبعث الحياة للعالمين، ذكره هو الذي يحيينا ويحيي خلايانا، ذكره هو الذي يجعل أنفاسنا تذكره فتصعد وتنزل دون أن تتوقف، وذكره سبحانه هو الذي يجعل قلوبنا تنبض ذكرا له فلا تموت، ذكره سبحانه هو الذي أقام كل ذرة من ذرات الأكوان، ذكره هو الذي أقام كل الخلائق وكل الأجساد وكل الأرواح.

هنا يهيم المريد في كلية خلق الله للعباد فينظر بمنظوره ويتنعم بفناءه فيه ومنه يسري ذلك الذكر إلى الخلائق.

• حقيقة ذكر الإمداد:

فيتحول مدد المريد من مدد الاستمداد إلى مدد الإمداد ويصبح بهذا الذكر مُمِدًّا للخلق، كل من ذكره يستمد منه، وكل من نظر إليه يستمد منه، وكل من عرفه يستمد منه، تحيى الأركان وتحيى القلوب وتحيى كذلك الذرات والخلايا بذكره.

فكيف للذي وصل إلى هذه الحقيقة من حقائق الذكر أن يشغله شاغل الخلق أو حجاب النفس أو ما سوى ذلك !؟ ولا يصل العبد إلى هذه الحقيقة إلا بعد أن يمر بالحقائق المذكورة سابقا.

هذا والحمد لله رب العالمين.

ثالثا: حقائق الذكر في مقامات القرب

الحمد لله رافع الدرجات، مثبت المقامات، غافر الذنوب، صاحب السر والكرامات، الحمد لله الذي يفتح لعباده باب مجالسته وباب مؤانسته وباب معرفته وباب صحبة حضرته.

أما بعد، فإن ذكر الله عز وجل حضور معه، وذكر الله تعالى معرفة له، وذكر الله تعالى هو قرب واقتراب منه، وذكره عز وجل هو الذي يرفع المريد من مقام يكون فيه محجوبا عن الله عز وجل بغيره إلى مقام يكون فيه محجوبا عن الله تعالى به إلى مقام لا يكون فيه إلا الله، هذه المقامات لابد أن يجتازها السالك إذا حسن ذكره واستقام لسانه وخضعت جوارحه واستقبلت روحه القِبْلة.

• حقيقة تذكر العبد لأنسه بربه:

ذكر الله للعبد يجعل روحه تسبح في المعارف وتمد العوالم حتى تتذكر خلقها الأول وأنسها القديم بالله تعالى، لأن ذكر الله للمريد يُحْيِيهِ، وإذا حيا المريد بالله حَيَت روحه وتذكرت ربها وهامت واشتاقت لحضرته ولأنسه ولمجالسته، حينئذ تحيى سريرة الروح فتتذكر بذكر الله تعالى سابق الرحمة والعناية واللطف، وإذا تذكرت الروح يحصل لها حال من الوجد والشوق والهيام.

• حقيقة اشتياق الروح (بعد تذكرها لعهد الخطاب):

هي حالة عظيمة لا تطيقها الجبال، ولا يطيقها أحد، فكيف يعقل أن تكون الروح في مدارج المشاهدة ومعارج المكالمة والمخاطبة ثم تحبس في الجسد، هل هذا يطيقه مخلوق؟ أن تكون الروح مقربة عارفة مشاهدة مخاطبة ثم يمنع عنها ذلك، إلا أنها في بداية الأمر تكون ناسية لذاك ممتزجة بالذات مقيدة فيها، محاطة بالنفس، معقولة بالعقل، مثبتة بالقلب.

ولكن بعد أن تهيم في مدارج الذكر وفي حقائقه وتستلذه وتترقى في مراقيه، وبعد أن يذكرها الله عز وجل تتذكر، فإذا تذكرت الروح هامت اشتياقا واشتعلت محبة فتتوهج بالنور حينها. وقد يكون المريد في هذه المرحلة لا يزال مقيدا بذاته وبعقله، وقد تكون نفسه غير كاملة بعد، فإذا توهجت الروح بالنور الأزلي حصل لها الاستمداد، وغلب شوقها كل المكونات التي اتصلت بها في نطاق الذات؛ فيغلب شوقها ظلمانية النفس، وتغلب محبتها معقولية العقل، وكذلك تغلب طينية الجسد وتعلق القلب.

هكذا تصير الروح هي المكون الأول في الإنسان؛ فتفيض على سائر الذات يستقي القلب منها وكذلك الجسم، ويصبح المريد في حالة شديدة من الوجد ما سمع ذكرا ولا حرفا ولا اسما يذكره بالله عز وجل إلا وهام به وخضع وخشع، واعتراه حال من الوجد ومن البكاء، وخطب من التوهج ومن الاشتياق.

وتظل الروح في هته المقامات من الشوق والحنين إلى قديم العهد والى صفاء الخطاب ووضوح المشاهدة ونعيم القرب من الله تعالى فتفيض نورانية على سائر المكونات فَتُطَهِّرُهَا وتُخَلِّصُها من الانجذاب الطيني الأرضي، ثم تحققها بنور الروح القديم الإلهي حتى تتحمل الذات ككل أمر عودة الروح إلى هته المقامات من المشاهدة مع أن الذات لازالت حية ولازال المريد يمشي على قدميه في الحياة الدنيا؛ فحينئذ تفرض على العقل حضورا دائما مع الله عز وجل، ويبدأ الذكر يتقوى سواء أثناء القيام بالأوراد أو أثناء القيام بكل الأعمال اليومية، ثم تفرض نورانيتها على النفس فتهدم كل الحصون وكل المباني وكل الجبال الشامخات من الشهوات ومن الظلمات ومن الرغبات، وأيضا تشعل القلب وتضيئه محبة لله تعالى فتخرجه من ظلمات التعلقات بالخلق، وكذلك العقل تخرجه من ظلمانية التفكر فيهم، وكذلك الجسد تجعله خاضعا لله عز وجل وتُوَرِّثُهُ قوة من قوتها فيصبح الجسد خارقا للعادة لا يُقَيَّدُ في إطار القيود، قد يخرق الزمان مرارا ويخرق المكان تكرار ويصير مطيقا لبعض الأنوار وبعض التجليات، فيه جُهْدٌ من الله عز وجل وقوة مُسْتَمَدَّةٌ من الروح، قد يذكر الله عز وجل فلا يصيبه تعب ولا نصب، وقد لا ينام ليالي متواصلة وقد يصوم أياما عديدة حينها.

• حقيقة اكتمال الذات بأنوار القدس:

وبعد حقيقة اشتياق الروح ينتقل المريد إلى حقيقة اكتمال الذات بأنوار القدس حينها فقط ترجعه الروح إجبارا وكَرْهًا لا طواعية واختيارا إلى السير إلى الله الحق الذي لا يكون فيه هزل ولا عبث، إنما يكون سيرا جَلَالِيًا

قائما على استكمال صفات النفس، وتحقيقا لاكتمال توازن الذات فيصبح الذكر عند المريد في سائر أحواله قائما بالله.

هذا الذكر يطهره وَيُزَكِّيه وينوره حتى تكتمل مقاماته ويتحقق بحقيقة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، كل أموره وكل ما فيه لله، صلته بالله لله، وعبادته لله، وحياته كذلك ومماته.

- **مقام ذكر الصلة بالله عز وجل ﴿قل إن صلاتي﴾:**

يَعْرُجُ به الذكر إلى المقام الأول حيث يتصل به في كل أحواله؛ في حال العمل والنوم والصحو والعبادة وغير ذلك، يكون متصلا بالله مستحضرا له لينتقل إلى مقام النسك.

- **مقام ذكر النسك ﴿ونسكي﴾:**

فتصبح كل عباداته عبادات حَقَّة يستشعر فيها العبد علاقة عبوديته لله عز وجل حينها تصبح العبادات مقربة من الله تعالى حقيقة وتصبح حَيَّةً بذكر جوهرها، لا غفلة ولا سهوا ولا نسيانا كما تكون العبادة قبل ذلك.

- **مقام ذكر الحياة ﴿ومحياي﴾:**

ثم يُعْرَجُ به إلى مقام ذكر الحياة فيصبح العبد ذاكرا لله في كل حياته، أثناء صحوه وأثناء نومه، كل مقصده في حياته هو الله، كل طرفة يطرفها وكل نفس يتنفسه إنما هو مستحضر لله عز وجل ذاكر له، هنا يبدأ الكمال

[1]. سورة الأنعام، الآية: 162

بالحصول في الذات، ولا تكتمل الذات إلا بعد المقام الذي يليه، وهو مقام ذكر الممات. وفيها ترجع الروح إلى ربها..

- **مقام ذكر الممات ﴿ومماتي لله رب العالمين﴾:**

حيث يموت العبد عن نفسه وعن عقله وعن قلبه وعن كلياته، فإذا مات فقط هناك تحيا الروح وتتحرر، لتنتقل بعد ذلك إلى مقامات وحقائق أخرى من حقائق الذكر، هي حقائق لا يدركها إلا العارفون الذين اكتملت ظواهرهم وخاضوا هذا المنهج الطويل حتى صارت أرواحهم عارفة بالله تعالى مُعَرّفَةً به.. والحمد لله.

رابعا: حقيقة واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم

الله أكبر ولله الحمد والمنة، الله أكبر ولله الفتح والنعمة، الله أكبر الذي وقانا من كل نقمة، الله أكبر الذي شملنا منه بالرحمة وهو أكرم الأكرمين.

الحمد لله الذي فتح الباب، الحمد لله الذي وصلنا بسيدنا محمد ﷺ مفتاح بابه ونور سراجه وسر قدرته وحضور ذاته ومعدن هويته وتنزلات أنواره ومحط سره وأسراره، هو مرفوع الذكر بإذنه والرافع لخصوصيات الذكر فيه وعلى آله وسلم تسليما.

• حقيقة عودة الروح لله عز وجل ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾:

إن الله عز وجل لَيَمُنُّ على الأرواح بعد أن تُقَيَّدَ وأن تُؤْسَر بسجن الذات وبسجن فيه من النفس صفات، وبسجن القلب وعقل الروح، يأذن لها أن تتحرر بعد ذلك إذا انتهجت منهج السير وإذا سارت في مذهب السلوك إلى الله سبحانه وإذا ارتقت في حقائق الذكر؟

يذكرها الله عز وجل به فتحن وتشتاق إليه فيكمل ذاتها التي فيها أسرت من قبل، وبعد أن تكتمل الذات يحررها بعظمة قدرته وبسر إرادته وبحقيقة كرمه وجوده، فيرجعها ويعيدها إليه، فالروح منه تؤول وتعود إليه بعد مدة من النسيان والعذاب والشقاء والبُعْد، تعود الأرواح إلى بارئها وتتصل به فتتذكره حينئذ ذكر القرب.

• حقيقة ذكر القرب:

وهذه هي الحقيقة التي يُدْرِكُهَا المريد بعد تحرر روحه وهي حقيقة ذكر القرب، حيث يذكر وروحه مستأنسة بالله سبحانه قريبة منه مشاهدة له ولتجلياته ولأنواره سامعة لخطابه، هي معه مصحوبة بإذنه في سره هي الآن كما كانت من قبل، هي الآن كما خاطبها فقال لها: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، هي الآن كما خاطبها فأشهدها على سر الألوهية، وعَلَّمَهَا معاني الربوبية، ورَقَّاهَا في مدارج الأحمدية، ووَصَلَهَا بمن يُوصِلُهَا بالله عز وجل، وأذن لها بأن تُبْعَثَ للأرض اختبارا وامتحانا، هي الآن متصلة به دون حجاب ولا واسطة، تسمع خطابه دون حرف ولا صوت. وإذا بلغ المريد إلى هذا الحال من الذكر فإنه يكون قد أكمل مسيرة إعادة الروح إلى ما كانت عليه من قرب وحق وشهود ومؤانسة ومجالسة ومشاهدة ومعرفة واغتراف وتحقق بأسرار القدرة ومعارج الكرم والمنن.

• حقيقة ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

فتدخل الروح في حقيقة ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] فحينئذ تجد الأرواح أنها رجعت إلى الله عز وجل فَيُنَبِّئُهَا الله عز وجل بعملها حين كانت أسيرة ذاتها.

[1]. الأعراف، الآية: 172

[2]. الزمر، الآية: 07

والنبوءة بالعمل هنا ليست هي الحساب وإنما هي قبول حَسَنِهِ والعفو عن سَيِّئِهِ واستكمال نقصه وتكميل تقصيره وإتمام كُلِّه، والعفو عن كل سهو ونقص وخلل لأن الله عز وجل أكرم من أن يُؤَاخِذَ العبد بكل أعماله، ولو آخذه بها لهلك كل العباد، ولما وصل إليه أحد، ولما رجع إليه رجوع محبة أحد، ولما تعرف عليه أحد. وهو الذي يُكْرِمِ العباد ويَصِلُهُم به ويُرْجِعُهُم إليه.

حينها يذكر العبد الله تعالى بلا عمل، وذكره حينئذ ليس عملا يؤجر عليه أو يعاقب على تركه، لأن الأعمال نبئ بها والروح رجعت لبارئها. فالذكر حينها حاصل بالروح وهو الأصل وهو المطلوب، أما ذكر الجسد إن حصل فهو كمال وإن لم يحصل فلا ملام.

لهذا قد تجد بعض العارفين بالله عز وجل ينشغلون في أمور الدعوة أو حتى في أمور أخرى غيرها فلا يذكرون الله عز وجل ذكرا كثيرا كما يجب أن يَذْكُرَ المريد أثناء سيره قبل عودة روحه لأصل الذكر.

هذا لأنهم بلغوا هذه الحقيقة واستكملت أعمالهم وتعرفت أرواحهم وارتوت كلياتهم من الله عز وجل ومن محبته ومن معرفته ومن القرب منه ومشاهدته ومخاطبته. والحمد لله رب العالمين.

خامسا: ماهية الذكر واتصاله بحقائقه الأربع: النطق، والروح، والسر، والأصل

بسم الله الرحمن الرحيم مُبْدِئ الوجود بالعهود، وخاتم الأكوان بالورود على حضرة سيد الوجود، وصلاة الله وسلامه على خليله المرتضى، وكليمه المجتبى وصفيه ذي الحقائق والنهى، وعلى آله أهل المجالسة والذكر والمشاهدة والصبر وسلم تسليما.

أما بعد فإن للذكر أربع حقائق؛ فكل عبد إذا ذكر الله يذكره إما في حقيقة من هذه الحقائق، أو فيها مجتمعة وهي التي تُكَوِّن ماهية الذكر، وكليته، وتعريفه.

1) حقيقة نطق الذكر:

فقد وقف أغلب العلماء عند ذكر النطق وهو إدلاء اللسان بشهادة العبودية لله، والتعظيم والتسبيح والتقديس له، وذكر أسماءه، والصلاة على نبيه، وهذا ذكر يقتصر على اللسان، وهو أول ما يُؤْتَى للمريد في بداية سيره من طرف شيخه، يعطيه ذكر النطق ليدخله بعد ذلك إلى الحقائق الأخرى.

وذكر النطق هو عبارة عن حروف دالة في باطنها على معنى معروف، مشيرة إلى سر مكشوف، كل حرف له أسرار متصلة بعوالم كونية، ولكن ذكر النطق ليس ذكرا كاملا، هو ذكر العبودية وليس ذكر الألوهية؛ فالعبد إذا ذكر الله في مقاماته الأولى ذكره بالنطق، والله عز وجل إذا ذكر نفسه

وإذا ذكر عبده فإنه يذكره بغير نطق ولا حرف ولا صوت، وهنا في هذا المقام يحصل الخضوع والانكسار والاستسلام للمريد بين يدي ربه، واعترافه بعبوديته وبضعفه، وبانكساره وبعجزه.

2) حقيقة روح الذكر:

أما حقيقة روح الذكر فهي التي تمثل نور الصلة بالله عز وجل الذي يستنبطه القلب من الحروف المنطوقة باللسان، فمن خلال ذكر النطق يتصل القلب بالله عز وجل عن طريق نور محمدي وَاصِلٍ مُوَصِّل، فتلك الصلة القلبية هي روح الذكر.

ومن مظاهر هذه الصلة أن العبد يتصل بمعاني ترد إليه من حضرة العزيز المتعال؛ كمعنى المحبة ومقام الحضور وغلبة الشوق والهيام في المذكور، فتجد التفاعل في الذكر حاصلا بالباطن مواكبا لما ينطقه اللسان من حروف عظيمة جليلة فذلك المعنى المعروف الذي تشير إليه الحروف، وهو الذي يدركه المريد إذا تحقق بروح الذكر وهي معاني عظيمة جليلة تصل العبد بربه، وتغسل باطنه، وتُفَعِّل الأسرار المكنونة في روحه.

وروح الذكر هته حقيقة مستمدة من قوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1]؛ فأمر الذكر الذي قام عليه جزاء مبادلته من الله ومقابلته بالصلة هي روح الذكر؛ فقد يذكر العبد وقلبه لاه غافل فيكون بذلك واقفا في حقيقة ذكر النطق، لأن الله عز وجل لا يلتفت إلى من التفت قلبه عنه فلا يذكره، ولكن إذا بذل المريد تضحية ليحقق

[1]. سورة البقرة، الآية: 152

بعض أسباب الاتصال كأن يقطع تعلقه والتهاء قلبه بغير الله، وذَكَرَ الله لله، فإن الله يذكره حينها فتتحقق الصلة به عز وجل عن طريق ذكر من الله إلى العبد، ومن العبد لله بتوفيق من الله..

3) حقيقة سر الذكر:

هنا يصبح للحروف روحا وللسر بوحا، ويتحقق المريد بهذه الحقيقة لِيَزُجَّ به الله عز وجل في الحقيقة التي تليها وهي حقيقة سر الذكر، وما سِرُّه إلا أنه يصل الأرواح ببارئها ويُطَهِّر الأنفس من ظلامها، ويُحَقِّقُ الأرواح بِعِيَانِهَا، وبِسِرِّ خطابها، وبأصل وُجُودِهَا، وبِكُنْهِ ذاتها، وبمحبة نفخها، وإيداع نفثها فيُغلِّبُها على ما يُقَيِّدُها، ويحررها مما يُظَلِّمُها، ويكشف عنها ما كان يحجبها فَيُعَلِّمُهَا من عِلْمِه ويُؤْتِيها من فهمه ويَسْقِيها من نوره الذي هو نبيه صلاة الله وسلامه عليه، الذي به تقوم الأرواح قيام ذكر للمذكور، ومشاهدة لتجلياتٍ، وسمع لمخاطباتٍ هي من حضرة الله تعالى.

فسر الذكر تحرر الروح ومشاهدتها لمظاهر الله عز وجل واجتيازها للحجب المانعة من اتصالها، حيث تترقى الروح في الحضرات فتدخل بداية لحضرة الشيخ الفتاح تستقي من علومه، وتستمد من نوره حتى يُفْتَحَ لها باب حضرة سيدنا محمد ﷺ، فترتوي من إذنه وتستقي من حوضه، وبإذنه تدخل إلى حضرات التصريف؛ كحضرة مجلس الديوان ومجلس الغيب، وحضرة صدور العارفين، ومجلس أم الكتاب، ومجمع كتبة اللوح، وسر تنزلات القلم، وحضرة تكليف الملائكة، كل ذلك هو من أسرار الذكر الذي يجسد ماهيته ويشكله ولولاه لما كان الذكر صلة وصل بالله عز وجل.

4) حقيقة أصل الذكر:

وبعد ذلك حينما تكتمل الأرواح في مقامات الذكر وحضرات المذكور يُعَلِّمُهَا الله عز وجل من لدنه أصل الذكر، فَيُفْنِيهَا عن مشاهدة غيره، وعن كل مخاطبة أو مجالسة لغيره حتى يعرفها عليه، حينها تدخل الروح في السكون الذاكر وفي الغيب الحاضر وفي الستر القادر على الظهور، وفي السر الذي يملك أن يكون مكشوفا، وفي الإرادة التي تُحَقَّق في كل كون وفي كل مكنون، بسر فعل الكاف وتحقيق النون.

- **ما أصل الذكر؟**

أصل الذكر **عدم وجود الذاكر** لأن الله حين ذكر نفسه لم يكن من العالمين أحد، وأصل الذكر **ذكر الله لنفسه**، فإذا حضر أحد من العالمين لم تصل الروح إلى أصل الذكر وحَقِّيَته، لذلك فالذكر الأول عدم، والذكر الثاني وَجْد، والذكر الذي يليه وُجُود، وهو مسلك الألوهية في الذكر:

❖ مسلك الألوهية في الذكر:

- **ذكر العَدَمْ:**

ذكر الله الأول لنفسه لم يكن حاضرا فيه غيره، وذلك أكمل مقامات الذكر التي يصلها العبد فلا يرى فيها غيره.

• ذكر الوَجْدْ:

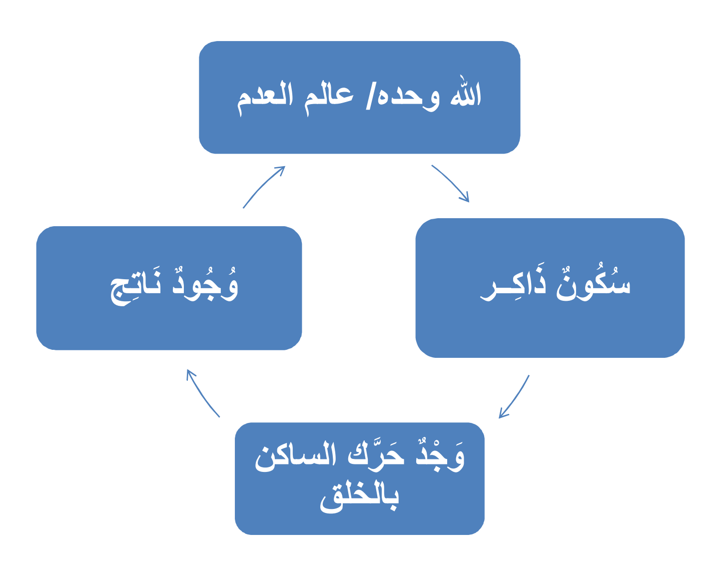
وثاني الذكر هو ذكر الوجد حيث تحرك فيه الساكن من محبة الله لكماليات ذاته الكاملة في ذكر العدم، فتحرك الوِدُّ في الذكر، ومن هنا حكمة بليغة أن محبة الروح ووِدُّها لا يتحرك إلا في الذكر.

• ذكر الوُجُود:

فتحرك وِدُّ الله في ذكره لنفسه لِيَنْتُجَ عن ذكر الوَجْد ذكر الوجود، فذكر الله عز وجل الذكر الثالث ففاض الوجود كله من ذكره لنفسه حينها.

ومن هذا نكون قد أشرنا إلى ما يصعب الإشارة إليه بالعبارة من أصل الذكر وتراتبيته من أول وثاني وثالث، وعلاقته بالعدم والوجد والوجود..

مسلك الألوهية في الذكر

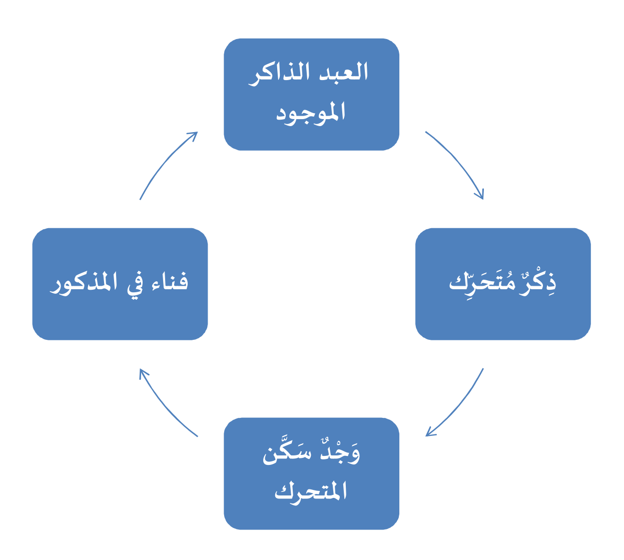


❖ مسلك العبودية في الذكر:

والمريد لا يستطيع أن يسلك في أصل الذكر مسلك الألوهية الذي تمثل في ذكر العدم أولا، يليه الوَجْدُ ثانيا، يليه الوُجُود بعد ذلك، ولكنه يسلك مسلك الآدمية والعبودية، وهو:

- أولا: ذكر الوجود.
- ثانيا: ذكر الوجد.
- ثالثا: ذكر العدم.

مسلك العبودية في الذكر



هذه المقامات الثلاث التي يسير فيها المريد إذا وصل إلى حقيقة الذكر الكبرى حقيقة الأصل؛ فتجده يذكر الله عز وجل أولا بوُجُودِه، الروح تذكر ربها، ثم بوَجْدِهِ الروح تهيم شوقا ومحبة لخالقها حتى يَسْكُنُ فيها المتحرك، فيُعْدَمَ وُجُودُها فتذكر ذكرا ثالثا وهو ذكر اللهِ هِ، اللهُ هُو.. كأنه يذكر نفسه وكأن لا وجود للروح فهي انعدمت بعدما سَكَّن فيها المتحرك من نفثة الله التي جعلتها موجودة.

أَلَا يظهر هنا سر الإبداع في الخلق ومسلك الرشاد في المخلوقات؟ وهو أن يسير العبد في المسلك الذي صار عليه الله عز وجل، لكن ليس بكماله الذي يظهر في حضرة الألوهية، ولكن بما يَتَأَتَّى له في مقام العبودية في

الأصل القديم، خاصة في ذكر الوَجْد حيث تَحَرَّك السَّاكِنُ لكي ينبثق عنه ذكر الوجود، هذا اختصاص الألوهية، أما اختصاص العبودية في ذكر الوَجْدِ أن يَسْكُنَ المتحرك فينتج عنه ذكر العدم، وإذا انعدم العبد ذَكَرَ اللهُ نفسَه، هو الذكر الحق وهو المبتغى والمقصود، وهنا تنتهي الماهية، وتُعْرَفُ المقصدية، ويفنى الفاني في حضرة الذكر السرمدية، والحمد لله الذي لم يجعل لغيره الأبدية.

والحمد لله رب العالمين.

سادسا: فائدة الذكر في تنظيف صدأ القلوب وتصحيح اعوجاج النفوس وتحقيق التوازن الروحي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلاة الله وسلامه على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد، نتحدث بإذن الله عز وجل عن فائدة الذكر في تنظيف صدأ القلوب وتصحيح اعوجاج النفوس وتحقيق التوازن الروحي، حيث نجد أن الله عز وجل قد أمر المؤمنين خاصة، وعباده عامة، في محكم التنزيل بكثرة الذكر، فهو الذي يقول: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2]، ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[3]؛ فالله تعالى أوصى بالذكر لما له من فوائد ترجع على **إحياء الفرد، وصقل صدأ قلبه، وتقويم اعوجاج نفسه**؛ فتجد المرء يخوض في الحياة الدنيا يوميا وينغمس في ظلمانيتها، ويتلوث بمائها العكر؛ فيتأثر قلبه بمناظر الدنيا، وتتفاعل معها عواطفه، وكذلك تجد نفسه مشتهية للخلود في هذه الحياة الفانية مع التمتع بلذاتها.

وقد تجده فاقدا لمعنى الروح، ولمعنى اليقظة الداخلية في علاقته بالله عز وجل؛ فقد يصلي ويصوم، ويقوم بما عليه من فرائض بل وحتى

---

[1]. سورة المزمل، الآية: 8

[2]. سورة الإنسان، الآية: 25

[3]. سورة الأحزاب، الآيتين: 41 و42

النوافل، ولكن قلبه منغمس في الدنيا انغماسا كليا، فتجده شديد الحرص عليها والتشبث بها، شديد الطلب لها وهو منغمس فيها كليا، غارق في شهواتها.

وهذا حال لا يسلم منه أحد إلا من سَلَّمَهُ الله عز وجل بشيخ عارف، وبذكر من بحر الحقيقة غارف، وهذا صنف من الناس تجده إذا أراد أن يجلس في مجلس يذكر فيه الله عز وجل يشعر بضيق وقنوط وضجر، فلا يشعر براحة ولا بسعادة ولا باطمئنان.

• فكيف يتحقق العبد بتطهير قلبه عن طريق الذكر؟

إن الله عز وجل قد جعل للذكر نورا يصقل به قلوب عباده، تلك القلوب التي صَدَأَتْ بمحبة الدنيا، وبالغوص في لذاتها وفي شهواتها، لذلك فما أن يُقْبِلَ العَبْدُ تَائِبًا إلى الله عز وجل ويجلس ليذكره إلا وتَنَزَّلَ الله عز وجل عليه بحقيقة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، فلا شك أن قلب العبد لا يجد راحة ولا طمأنينة ولا سعادة في الدنيا وهو متطلع لكل ذلك، لكنه بمجرد أن يُقْبِل على الذكر، يُقبل عليه الله عز وجل بهذه الحقيقة **فَيَتَنَزَّلُ على قلبه بالاطمئنان والراحة وبرود الحضور، ويغسله من كل ما يُظَلِّمُه من تَعَلُّقَات كمحبة للدنيا ومحبة للخلق**، وهذا ما ينعكس على **النفس أيضا إذ يصلها النور فتتطهر وتشرق عليها أنوار من الله عز وجل تَحُدُّ من قوة التشهي لديها، وتضعف شوكة حيوانيتها**، وتقطع دابر

[1]. سورة الرعد، الآية: 28

نزواتها، وتُهَدِّئُ من رَوْعِهَا؛ فإن كان المريد في حالة يشتهي فيها المعصية فأقبل على ذكر الله عز وجل بقلب صادق أطفأ الله عز وجل تلك الرغبة وتلك الشهوة في نفسه بنور من أنوار الذكر، وصَحَّحَ الاعوجاج الذي كاد أن يحصل فيها، فيشملها باللطف والعناية، ولكن المريد فور أن ينصرف من حالة الذكر إلى حالة الغفلة يعود إلى ما كان عليه من قبل، لذلك **ففائدة الذكر لا تتجلى على المريد إلا إذا اصْطُحِبَت بالدوام.**

وبناء عليه، وجب على المريد السالك أن يخصص كل يوم فترة محددة يذكر فيها الله تعالى، وإن كان الذكر بالاستحضار طيلة اليوم، ولكن الذكر بالتوجه الكامل وبالانقطاع عن الدنيا لابد أن يُخَصَّصَ له وقت محدد.

ويساعد هذا الذكر المريد على تزكية قلبه وتنوير عقله وقمع شهوات نفسه؛ إذ به يستعين على مرارة التزكية، ويتغلب على صعوباتها، فالذكر نور إذا وَقَرَ في القلب منع صاحبه من ارتكاب المعصية، وإذا وَقَرَ في العقل منعه من التفكر فيها، وإذا وقر في النفس منعها وحرمها من لذة المعصية بل حتى من اشتهائها.

وإذا حصل هذا الوقع النوراني للذكر في باطن المريد فإن الذات تَخِفُّ ظلمانيتها، ويَخِفُّ نزوحها إلى الأرض، ويَقِلُّ مَيَلَانُهَا إلى الطينية، ولا تخلد إلى الأرض، فترتقي فوق ذلك درجات من الطهارة والنقاء والعفاف، وبهذا تَخِفُّ الروح أيضا ويزول منها التقييد الذي قُيِّدَت به فَحُرِمَت به لذة الطاعة ولذة العبادة، **حينها يحصل التوازن داخل ذات العبد لأن ميلان كفة الطينية والشهوانية** وطغيانها في الذات تأسر الروح وتمنعها من لذة القرب والاتصال.

وإذا رُفِعَتْ وانْتُشِلَت مكونات العبد من الظلمانية ووقر فيها النور استقامت الروح وحصل التوازن ما بين الجسم والروح، وما بين طلبات هذا وطلبات ذاك، حينها تبدأ الروح بالشعور بمحبة ربانية وبِوَجْدٍ يعتريها وبشوق وحُرْقَةٍ لطلب لله عز وجل، هذا الشوق للطلب الذي يَكْبُرُ شيئا فشيئا مع الذكر حتى **تطغى كفة النور على كفة الظلام في ذات الإنسان فيصبح كائنا روحانيا يميل إلى الملائكية والى النورانية أكثر من ميله إلى الطينية وإلى الحيوانية**.

والحمد لله رب العالمين.

سابعا: شروط الذاكر

بسم الله الرحمن الرحيم، الذي خلق الخلائق أجمعين، بعث إليهم المرسلين ليذكرهم بيومه المتين، وليعيدهم إلى أكناف رحمته آمنين، مطمئنين به، وبنبيه مستشفعين، منكسرين في بابه وله خاضعين، تركوا كلياتهم وفنوا فيه ليكونوا بعد ذلك من العارفين، ويَمُنَّ الله عليهم بدخول حضرة سيدنا محمد نور الحق، وسراج الصدق، باب المحبة، وسر العبور.

وقد جعل الله عز وجل للذاكر شروطا قبلية يجب أن يأتي عليها جميعا لكي يوصله ذكره بفضل من الله إلى المقاصد المطلوبة من الذكر وإن لم تتوفر هذه الشروط فإن الذكر لا يحقق مقصديته في مكونات الإنسان الداخلية، وفي سيرورة روحه الباطنية، وفي زوال الحجب عن العيان، وللاتصال بجنة العرفان.

• وشروط الذاكر أربعة:

1) شرط رفعة الهمة وحُرْقَة الطلب:

أولها: أن يكون مرفوع الهِمَّة فيذكر الله عز وجل بحرقة طلب وبشوق عاليين فتجده لا يتكاسل في الذكر، ولا يسترخي جسمه أثناءه استرخاء التكاسل، بل تجد جلسته جلسة أدب مع الله عز وجل وانكسار في بابه وقلبه مُحْتَمِي بجنابه، ومتوسل ببابه "سيدنا محمد ﷺ" وآله وأتباعه.

لهذا فالذكر الذي لا تحضر فيه الهمة العالية والرغبة القوية التي تقيم الجسد ساعات دون تعب، والنفس تَلْجِمُها ساعات دون أن تتمرد

وتطغى، فإن المريد لا يستفيد إلا بحضور هذه الحالة في قلبه والمنعكسة على ظاهره، والمتجلية في سلوكه.

2) شرط الاتصال الموسوط بالله عز وجل:

ومن شروط الذاكر أن يكون ذكره متصلا بالله عز وجل اتصالا موسوطا وليس اتصالا مفصولا كما جرت سُنَّتُه واقتضت حكمته، وهذا الاتصال الموسوط هو الذي يَتَحَصَّلُ عليه المريد بصحبة شيخ متصل بمشايخه عبر سلسلته النورانية المتصلة برسول الله ﷺ الذي اِقْتُطِفَت روحه من ثمرات الوِدِّ الإلهي، وإلا فإن الذكر لا يكون نافعا، ولا يستطيع المريد بالذكر المفصول الوصول إلى المقاصد، وتحقيق الفرائض، ومعرفة الله عز وجل بذكره.

فإذا تحصل المريد على هذا، وصحب شيخا مأذونا فلابد أن يظهر هذا الاتصال عليه أثناء حالة الذكر، بأن يكون دائم التوجه لله عز وجل والحضور معه مستشعرا لرقابة سيدنا محمد ﷺ ولمجالسته ولمشاهدته له، وكذلك ذاكرا لله عز وجل بإذن وبهمة وبصفاء شيخه، يُزِيح نفسه ويخرجها من العمل ومن رؤية العمل، لأن النفس إن ذَكَرَ المريد بها من أول الطريق فإنها تَعُوقُه وتحول بينه وبين الصفاء، وقد تُوقِعُهُ في معصية الرياء، وقد تُدَنِّس روحه بأصناف الشهوات والخواطر والهواجس.

لهذا من شروط الذاكر أن يذكر الله ذكرا موصولا بالله عن طريق شيخ واصل به، فيزيح نفسه أثناء الذكر من التفكر أو الحضور أو الشعور بالعمل ورؤيته، ويذكر الله بشيخه كأنه جالس في مكانه، حينها فقط

يحصل له الإمداد وتأتيه همة الرجال لتنفي عنه تقلب الحال لتحققه بثبات المقام ولذة القرب وسعادة الاتصال، تُحَقِّقُه بنوع من الوصل بعالم الغيب وبسيدنا محمد صلاة الله وسلامه عليه، وبالله عز وجل ذي الفضل والمنة والكرم والرحمة والعطاءات الكبرى، والعلم والوصل والقرب.

3) شرط معرفة قدر حضرة الجليس في مقام الأنس:

وأما شرط الذاكر الذي يأتي بعد شرط الاتصال فهو معرفة قدر المقام وغلاء المُدَام، وعزة حضرة الجليس، وكرامة مقام الأنيس، لابد للمريد أن يستحضر استحضارا يقوده إلى التيقن من عِظَم الحالة التي أقامه الله فيها، فيشعر بهيبة وعظمة وجلال كبيرين، لأنه بالذكر يقوم بين يدي عالم الغيب والشهادة، بين يدي الله عز وجل، كما يقوم بين يديه في الآخرة ويوم الحساب، وكما قام ومَثُلَ بين يديه في عالم الأرواح، وما بين مُثُول الروح بين يديه عز وجل قديما وبين مثولها بين يديه قريبا، لا بد أن تَمْثُل بين يديه في الحياة الدنيا لكي تتحقق بسرها السابق وتنجو برحمته وتُكَرَّم بإذنه في لقائها الآتي، ومن كَرِه لقاء الله كره الله لقاءه، ومن لم يذكر الله في الدنيا ويلتقي به، حجبه الله عز وجل في الدنيا وفي الآخرة، فلا يذكره، ولا يلاقيه ولا ينظر إليه ولا يزيل عنه الحجاب ولا يفتح له الباب، وذلك أعظم العذاب.

لهذا فمجلس الذكر يحمل سرا من أسرار مجالسة الروح لله عز وجل، تحيا الأرواح بمجلس الذكر وتتطهر وتصفو، ترقى فتتلقى، وبإذن ربها تَكْمُلُ وتدنو، وتشتاق للقاء الله عز وجل في يوم عظيم، ويقودها هذا الشوق إن

تَكَرَّم الله بفضله وبِمِنَنِه عليه إلى أن تلتقي به في الدنيا قبل الآخرة، وتمثل بين يديه في الدنيا قبل الآخرة مثول رحمة وشوق ومؤانسة للقريب المجيب، وللرحمن الرحيم الذي ما أن تَمْثُل هذه الأرواح في حضرته في الدنيا طَوْعًا إلا وخَصَّهَا به وبحضرته ومعرفته ونعيمه، وخصها بالنظر إليه، وبنعيم لا مثيل له، وبقرب لا شبيه له، وبفناء في الكُنْهِ، فتكون الروح هِ، ولكن هاؤها حينئذ وَصْلٌ اتصل بهاء الله، وهاء الله هويته، فهي هويته يومئذ فنت فيه وعادت إليه، فيخصها الله عز وجل بكل هذه الخصائص يوم تقف بين يديه كرها وأمرا مفروضا وقدرا محسوما من الله عز وجل.

4) شرط تأهيل القلب للمجالسة بتفريغه من السوى والأغيار:

أما الشرط الرابع من شروط الذاكر أن يؤهل قلبه لمجالسة ربه، فلا يجلس بين يديه إلا وهو فارغ القلب من كل غير، ومن كل طلب غير الله ومن كل توجه سوى الله، ومن كل بغية ومقصود عدا الله.

يجلس ومن باب أدب المجلس وشروطه أن لا يحضر إلى الله عز وجل وغيره في قلبه ولا في كنهه ولا في سره، فإن الله لا يتنزل في قلب العبد إذا رأى معه شريكا فيه، ولا تستوي رحماته على عرش العبد إذا رأى محبوبا غيره هناك.

ولكي تستقر رحمة الله على عرش الفؤاد، وسره على عرش الجنان، ورحمته تعم كل الأركان لابد للقلب أن يحضر إلى الله وهو متأدب معه غير ملتفت لغيره، حتى يستنفع من الذكر ويحصل له الوَارِدِ الماد، وحالة

المشاهدة والأنس والاستئناس، وإلا فإنه سيظل محروما إذا لم يتأدب مع ربه في هذه المجالس يشعر بعدم استفادته وبعدم ارتواء روحه، وبعدم تفاعله مع أسرار الحضرة فلا يستفيد، وإذا استفاق من ذكره فلا يستفيق إلا وهو مايزال في حالته مقيدا بحسه مأسورا بنفسه،مكبلا بشهواته عكس الذي يأتي إلى الله عز وجل بقلب فارغ خال من غيره فإنه لا يستفيق من ذكره إلا وهو في طلائع وجهه ونظرات غيبه، ونفحات أنسه ومعارف علمه محررا من نفسه، مسلوبا عن حسه، عارفا بربه متصلا بأصله غائبا في كنهِهِ وكنه هُو..

والحمد لله رب العالمين.

ثامنا: مقاصد الذكر الأربع:

بسم الله الرحمن الرحيم، القريب المجيب السميع العليم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد باب الحضرة، وسيد العارفين، نور به يستضاء سراج الذاكرين، به يَبْلُغُ الذاكر مقصوده ويَنَالُ به مرغوبه، بمشاهدة أنوار تجلياته وجمال قربه وصحبته، وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد، فإن الله عز وجل ينهج بالذاكرين سبل الرشاد يقربهم إليه حتى يحققهم بمقاصد الذكر الأربع، هذه المقاصد التي ما إن وصل إليها العبد كانت له دليلا ومنهاجا، وسبيلا إلى الله عز وجل ومعراجا. وأول مقصد من مقاصد الذكر تَحَقُّقُ المريد بحضرة المؤانسة، وثانيها تحققه بحضرة المجالسة، وثالثها تحققه بحضرة المذكورية، ورابعها فناءُه في حضرة الشهود والإشهاد.

في حضرة المؤانسة يحتسي المريد من الخمرة التي تسكر قلبه، وفي حضرة المجالسة يشرب من الخمرة التي تسكر روحه، وفي مقام المذكورية يرتوي من الحوض المحمدي الذي يُكَمِّلُ وِدَّه، وفي حضرة الشهود والإشهاد يغرف من البحر الأحمدي الذي يحقق به شهادته وعهده.

1) تحقق المريد بحضرة المؤانسة:

فأما المقصد الأول وهو دخول حضرة المؤانسة الذي يقصد به حصول إمداد للمريد، يشعر فيه بقرب من الله عز وجل، وبقرب من النبي ﷺ، وبقرب من مطلع الأنوار، وبقرب من شيخه العارف بالله تعالى وفنائه فيه، وهذا المقام المقصود من الذكر يناله المريد بعد سنوات من المجاهدة

والمواظبة والعزم والمداومة على أذكاره وأوراده، بالتوجه والاستحضار مع مقابلة كل الخلق بالبعد والاستنكار، قد تحصل للمريد وحشة إذ أنه هجر الخلق وهجر التعلقات بهم التي قد تجعل قلبه في لهو ونفسه في شرود عن سبيل تحقيق سبب وجوده، وتجد المريد بدأ يستوحش من الخلق ويهرب من الدنيا ومن مآسيها، وكذلك من محاسنها إلى الله عز وجل.

وفي هذا الفرار إلى الله يكون متحصلا على كل شروط الذاكر التي ذكرناها فيما سبق، ويظل على هذه الحال من المواظبة وحرقة الطلب وتعظيم المطلب، وشوق الحصول حتى يَمُنَّ الله عز وجل عليه فَيُدْخِلَ الذاكر حضرة المؤانسة يستأنس فيها بالله ويستلذ بقربه وبتنزلات أنواره، وبأصناف أسراره فيجد لذة لا توصف ليس في الذكر بحد ذاته بقدر ما يجدها في الله عز وجل الذي آنسه به حينها تطغى على المريد حالة من الارتواء بخمرة الطريق الأولى، هي خمرة الأنس بالله عز وجل التي تصرف المريد وكلياته؛ أي عواطفه وأوصاله عن الخلق وعن النظر والالتفات إليهم، وعن طلب الدنيا وتعظيمها، وعن التلذذ بملذاتها والاستمتاع بمجالسة الأقارب والأصحاب والناس كافة.

هذه الخمرة تُدْخِلُ المريد في حالة من اللامبالاة بالكون أسره، وكل ما فيه، وكل ما عليه إلا لذة الذكر، وجمال الأنس، فيسقيه الله تعالى بكأس خمرتها حينما يتوجه إليه في أوقات التنزلات من الثُّلُثِ الأخير من الليل حتى يصير هذا الحال غالبا على كلياته، لا يصحو من لذة الأنس إلا على أنس أكبر، وخمر أصفى وأطهر، أليست الخمرة يقصد بها إذهاب العقل وصرفه عن الواقع؟! كذلك هي خمرة الأنس تحرر القلب من التعلق، والعقل من

الارتباط بالأقفال المنطقية، وهذا ما يرفع يقين المريد لأقصى ما يمكن أن يرتفع إليه، فهو في حال لو كشف له الحجاب لم يزدد تيقنا، ولو مُنِعَ عنه الحجاب لم يَرْتَبْ أبدا.

صحيح أنه غير مكشوف بعد، ولكن المشاهدة لا تحصل للمريد غالبا في هذا المقام من مقاصد الذكر، ويصبح المريد مستلذا ذكر ربه، مستشعرا لقربه وحضوره، متيقنا في أصناف قدرته وتصرفه، راضخا لأمره مستسلما لإرادته، راض كل الرضا.

في هذا المقصد من الذكر يستكمل المريد في نفسه صفات الرضا واليقين بالمقابل تتجرد نفسه من صفات التعلق والارتباط بالناس كما أن القلب تفتح فيه نوافذ من المحبة يسقى منها إلا أن المحبة لا تكتمل في هذا المقام.

2) تحقق العبد بحضرة المجالسة:

أما المقصد الثاني من مقاصد الذكر هو دخول العبد حضرة المجالسة بعدما تذوق المُدام الأول، فيسقيه ربه من مدام أرق وأصفى يُسْكِر الروح، والمُدام الذي قبله لا يسكر إلا القلب، وهنا تزاح الأستار على روح المريد، والقيود عن ذاته، فَتُفَتَّحُ البصيرة وتَتَفَتَّقُ السريرة، تُزَالُ الحُجُبُ إلى أن يوضع المريد في حضرة يُجالس فيها الصالحين، وفي حضرة يُجالس فيها سيد الوجود ﷺ الذي سقاه الله من نبع الودود، ومنه صفَّى له حوضه المورود، وفي حوضه ذاك سر من المحبة الإلهية، ومن الودِّ الجبروتي؛ فالمريد في هذا المقصد من مقاصد الذكر يصبح مشاهدا لعالم

الغيب كما كان قبل مُشَاهِدًا لعالم الشهادة فأكثر، ونتيجة للخمرة التي سُقِي منها يكون التفاته وحضوره في عالم الغيب أكثر من حضوره في عالم الشهادة، فهو حينئذ يجالس الأنبياء والصلحاء وأرواح المؤمنين وإن جالس الله عز وجل يجالسه عن مشاهدة وانفتاح بصيرة، فينبئه الله بسر الروح لكي تتوقد فيها معاني القرب وتكتمل منها معاني الحب، وتتصل بالله فيخاطبها وتخاطبه، فَيُخَلِّصُهَا وتَحْمِدُهُ، ويُعَرِّفُهَا فَتَعْرِفُهُ، ويذكرها فتذكره، ويُذَكِّرُها فتجيبُه، ويأمرها فتطيعه.

3) التحقق بحضرة المذكورية/ فناء العَرَض وبقاء الجَوْهَر:

لينتقل بعد ذلك إلى المقصد الثالث من مقاصد الذكر، ولا يرتوي حينها إلا من حوض سيدنا محمد صلاة الله وسلامه عليه ليطهره بذلك من كليات ما تبقى فيه من نفس أو أناة أو حضور أو وجود، لِيَزُج به بعد ذلك في المقصد الثالث من مقاصد الذكر، وهو انتفاء المنفي وثبوت الثابت، زوال الفرع وظهور الأصل، فناء العرض وبقاء الجوهر، هذا معنى من أرق معاني الذكر التي ما إن بلغها المريد ما وجد بينه وبين ربه إلا ربه، قد يتحجب عنه بالقهرية ويظهر إن شاء بالرحمة والقرب، والتجلي والتدني، والمؤانسة والمشاهدة.. فالأنس يرفع الحجاب عن المريد وإذا رفع عنه الحجاب أبصر الحق، وإن هو أبصر الحق انتفى الباطل، وإن انتفى الباطل عاد الحق إلى الحق، فيكون هذا المقصد من المقاصد الأربع هو التحقق بالله وانتفاء كل ما سواه.

4) فناء المريد في حضرة الشهود والإشهاد:

هنا يبدأ العبد من الاغتراف من بحر الحقائق لأنه أدرك الحق بذكره إياه، ليسقيه الله عز وجل بعدها من بحر السر الأحمدي ويكمله بالأوصاف وبالمعاني، وهذا السر لا يسكر كالخمرة ولكنه يُعَرِّف الباطن على الله بالوسيلة، والظاهر يُعَرِّفه على الله بخدمة خلقه، واستواء عدله واتزان ميزانه، حتى إذا بلغ ذلك عرف المريد الله عز وجل في كل الأحوال وفي كل الأوقات وفي كل التوجهات، إن اغترف من بحر الأحمدية رآه فعرفه، وإن هو اغترف من ظاهر البشرية رآه فخدمه بخدمة خلقه والأمة. يعرف الله فلا يغيب عنه.

ومن هنا يتم المقصود الأعظم من الذكر وهو ثباته وتحققه في الخلوة كما في الجلوة، لا يختلف هذا عن ذاك ولا يزيد الذكر في الخلوة، ولا ينقص في الجلوة، هو مستو مستقر في ماهية العبد عند كل حال وفي كل حين، لأن المريد في بداية سبيله قد يحضر معه الذكر في الخلوة ويغيب عنه في الجلوة، أو العكس، وهذا انتقاص من قدر المذكور لدى المقربين العارفين، وهو أمْرٌ عَفْوٌ عند عامة الذاكرين.

ولكن المقصود الأعظم الذي لا يتطلع إليه المريد إلا إذا تحقق بالمقاصد الأربع، هو دوام الذكر، ودوام الذكر هو دوام ذكر الله لعبده، وذلك دوام معرفة ودوام اتصال خال من الأغيار، يَبُثُّ في العبد من سرائر الأسرار ويجعله كامل الأوصاف والصفات، مكتمل الدرجات، عارفا بالله،

روحه تُسْقى من قديم الخطاب وجلال المشاهدة، ونعيم الجواب: {بلى شهدنا} فالله أشهدنا قديما، وأشهدنا الآن شهادة القديم.

وكل عبد صار على هذا النهج سيشهده الله عز وجل ما يشهده مما لا يجرؤ اللسان على وصفه، وإلا تجرأ العبد على ربه وآذن بكشف سره، فيتنعم العبد الذي يشهده الله بجوابه نعيما لا زوال له، والحمد لله الذي أشهدنا..

الحمد لله رب العالمين.

خلاصة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الأولياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصلنا والحمد لله رب العالمين الذي أيدنا بعلمه وبتوفيقه لختام هذه الفقرات الإشارية والسلوكية في تحقيق المريد الطالب بأصناف القرب وتجليات المعرفة، وحقيقة الوصول، وما ذلك إلا أن الله عز وجل أراد أن يُمد عباده في زمن مد فيه الشيطان إليهم إغواءاته، والله أولى بنصر عباده إذا ما هم هزموا، وهو أولى بالتوبة عليهم إذا ما هم تابوا واستغفروا وهو التواب الرحيم.

ومن النصائح التي نقدمها إلى المريد الطالب ختاما أن لا ينتظر العبد أن يُقْبِل على الله وهو كامل لأن ما ذكرناه من معارج الذكر وأسراره قد يجعل الذي لم يتحقق بأدنى تلك المقامات قانطا من رحمة الله، يائسا من رَوْحِه، تاركا لواجباته وأوراده، خصوصا بعدما كشفنا الغطاء عن معاني الذكر وخصوصيته في تذكير الأرواح بعهد الله، وإعادتها إلى حالة مشاهدته ومخاطبته والمعاملة معه دون حجاب بلا وسائط، ولا أواني ولا أركان، اتصالا مباشرا من رياض المحبة القدسية والقرب الأحدي، والحقيقة الأولية والأصل المحمدي.

ما على المريد إلا أن يحافظ على أوراده ويقوي صلته بشيخه وأن يقبل على الله في أي حال كان عليه، سواء كان في حال الغفلة أو حال الحضور، سواء كان في حالة الأنس أو في حالة الوحشة، سواء كان في حالة

التخلي أو كان قلبه مملوءًا بالانشغالات والتعلقات.. في كل أحواله يَرِدُ على الله ويطلب منه التوفيق والتسديد، والعون والتأييد، حتى يَزُولَ عنه غطاء الابتلاء، ويُكْشَفَ له ما خلفه من أصناف الرحمات فيبصر بعين لبه جنان القرب ومعـارج الوصل، حينئذ يتخلى قلبه كَرْهاً لا طواعية واختيارا عن كل محبوب ومرغوب، وعن كل مطلوب ومقصود غير الله سبحانه، فيسلك الله بالمريد حينها مسالك العناية، ومناهج الفلاح، حتى يقوده إلى مقام التحقيق.

ولا زالت كرامات الذكر وأسراره الكثيرة لم نكشف عنها في هذا الكتاب، إنما كشفنا عن ما ينفع المريد، ذلك كي لا يقنط الراجي من رحمة ربه، ولا يَنْظُر بعده عن هذا كله فييأس ويستدير ويُوَلِّي ظهره ويتخلى عن ركب السالكين وعن جلسات الذاكرين وعن أوراد العارفين، فيهلك ويحرم.

يجب على العبد أن يسلك إلى الله وهو مستند على رجاءه قائم على أعماله من باب الخوف من الطرد والإبعاد.

ومقامات الذكر هته التي ذكرناها هي فيض من قلب الشيخ العارف على مريده ولا يحاسب المريد على عدم حصولها إلا إذا كان ذلك ناتج عن عدم توجيه قلبه إلى شيخه، فإذا فاض الفيض فإنه يفيض جملة، وإذا أتت الرحمة فإنها تأتي مرة دفعة واحدة، تنتشل العبد منه ومما هو فيه، وتزج به في هِـ..

الحمد لله الذي أيدنا بالفتح المبارك، وبالعلم الأحمدي وبنور من حضرته، وسر من أسرار قدرته، فأمدنا إمدادا نُمِدٌّ به العالمين ولا ينفذ، بحرا لا ساحل له، كونا لا فلك يَحُدُّه ولا يُقَيِّدُه، هي رحمته وذلك فضله.

وما ذكرناه في هذا الكتاب هو من علمه ومن فضله ومن حقائق كونه، فاسلك أيها المريد إلى الله تجد الله، هو الذي لا يخيب الراجي في رحمته، ولا السالك إليه، وهو الذي ما إن أتاه العبد أتى به إليه، وعرفه عليه، آنسه بذكره، وقربه بحكمه، وألبسه حلة الصفاء والصفات، وأناله كل البركات، ونَعَّمَه في فيض الكرامات، وجال بروحه في كل ما كان وكل ما هو آت؛ من عالم الخلق الأول إلى العالم الآخر، إلى ما لا عالم يحيط به، والحمد لله رب العالمين..

الكتاب الثالث:

لطائف الروح:

معارف وأسرار

أقفال لطائف الروح:

معارف وأسرار:

• مقـدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا ومولانا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى كل من أخذ عنهم من المحبين والتابعين، وعلى كل من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإن الله عز وجل أوحى في ملكوته ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[1]، وقال: ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[2]. وأيضا: ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[3] فجعل لنفسه الوحدانية والفردانية والوجود الدائم وأوحى لعبده أن زُلْ منك أُعَرِّفُك عليك، واخرج من نفسك أُحَقِّقُك بك، إِنِّي خَلَقْتُ فيك فأبدعت، وصنعت فيك فحققت، أوجدتك من بديع صنعي ومن كامل قدرتي فما عرفتك بنفسك إلا حين عرفتني ولا يعرف العبد ربه إلا إذا شهد بشهادة الحق أن **لا إله إلا الله** لا يشرك به في قلبه شيئا، ولا في روحه شيئا، ولا في تعلقه شيئا، تليها **لا إله إلا أنت** بحضور العقل والذات والروح، تليها **لا إله إلا هو** بفناء الاسم والرسم والعلم، تليها **لا إله إلا أنا** أني أنا الله القريب

---

[1]. سورة طه، الآية: 14

[2]. سورة الحج، الآية: 26

[3]. سورة الكهف، الآية: 45

المجيب حينها تنخلع السماوات وتزول الأراضين ويظهر الإنسان على ربه فيعرف الله عز وجل الإنسان بنفسه يعرفها بأسرار خَلَقَهَا فيه من علمه ومن لدنه يعرفه بخصوصيته ويعرفه بقدرة الله عز وجل المتمثلة في الإنسان ذلك لأن **الله عز وجل خلق في الإنسان مفاتيح أسرار وروابط بذات الطين وروح الأنوار** سميت هذه الروابط والمجامع والأقفال **بحيرة الأبرار وخصوصية أهل الاختصاص.**



حيث جعل الله عز وجل في كل لطيفة من لطائف الإنسان السبع أرضا وسماء إلا لطيفة خارجة عن الذات موقعها فوق الرأس جُعِلَت مخلوقة من سماء وحدها لذلك ذكرنا في كتابنا في الصلاة على النبي سفر

الحقائق إشارة إلى اللطائف الروحية بحديثنا عن **السماوات السبع والأراضين الست.**[1]

هنالك نقصد أراضي اللطائف ولا نقصد سماوات وأراضي الزخارف، هنالك نقصد سماوات العلوم ولا نقصد سماوات الغيوم، هنالك نقصد أسرار العلوم وليس ما يفهمه أهل العموم، نقصد لطائف الروح وأسرار الله في عبده ولا نقصد الصحائف التي نشرها ما بين ملكوت نوره وأسرار غيبه.

- **تسميات لطائف الروح:**

ولهذه اللطائف تسميات حسب كل سر مكنون فيها مختوم بسرها معروف بقدرة الماهية محتوم بعلم اللادنية؛ فتسمى **اللطيفة الحمراء** وهي أسفل لطيفة في جسد الإنسان **لطيفة الشرود**، وتسمى **اللطيفة البرتقالية** التي فوقها **بلطيفة القيود** والتي فوقها بـ**اللون الأصفر** بـ**لطيفة الوجود**، والتي فوقها بـ**اللون الأخضر** بـ**لطيفة الودود**، والتي فوقها **باللون الأزرق الفاتح** بـ**لطيفة العهود** والتي فوقها بـ**اللون الأزرق الغامق** بـ**لطيفة الشهود** والتي فوقها تقع خارج جسم الإنسان وهي **اللطيفة البيضاء** بـ**لطيفة المعبود.**

[1]- اللهم صل على نَفَحَات السَّعَادة ونسائم الرضا، ريح الفَرَح وسُرُور الوجود، القائم باستقامة السماوات السبع وانطواء الأراضي الست، مِحْوَر الغَيْب المُتَّصِل بالحَرَم، وأَقْطَار الكَوْن المُوَازي للبقعة المباركة، وعلى آل العِلْم الباطني وسلم. / كتابنا سفر الحقائق، ص: 171.



• بعض أسرار اللطائف وألوانها:

وفي كل لطيفة جعل الله عز وجل سرا مرتبطا به تعالى رابطا بين الأرض والسماء موصولا بين الدُّنَى والعُلَى، وواصلا بين البشرية والروحانية، وبين الذاتية والحرية.

1) اللطيفة الحمراء لطيفة الشرود:

• أرض لطيفة الشرود:

فأما اللطيفة الحمراء لطيفة الشرود يقع في أرضها كل ما يلهي الإنسان عن أصله في الوجود وسببه فيه، ويبعده عن الحق، ويجعله يلعب ويعبث ويلهو، وهي لطيفة **الشهوات الجنسية والذاتية والرغبات النفسية**

ونحو ذلك.. مما يشتهيه الإنسان في حياته وتكون تلك الشهوة لا منفعة لها ولا أصل لها ولا سبب لها، فإذا تدبر الإنسان بعقله الصافي المنور لماذا يميل شهوة إلى ذلك الشيء فإنه لن يجد سببا واضحا ولا مقنعا لذلك، ولن يجد نتيجة مجدية ولا عاقبة مرضية، يميل من أجل الميل فقط ويشتهي من أجل الاشتهاء، حيث يجد في ذلك متعة ولا يدري سبب ذلك ولا عاقبته ومخرجه.

هنا يصير في حالة شُرُود يشرد فيه عن الطريق الصحيح وعن السلوك القويم فإما يجنح الإنسان بهذه الشهوة فيتبعها ويشرد بذلك عن سبب وجوده في هذا الكون وعن الغاية الأساسية من خلقه، وإما يمتلك جماحها فيسيرها في مرضاة الله عز وجل وبذلك ينتقل من أرض لطيفة الشرود إلى سماء لطيفة الشرود.

- **سماء لطيفة الشرود:**

سماؤها حكمة إلهية، ونفثة ربانية، وسنة كونية، ووديعة سنية تمثلت في إرادة الله عز وجل في خلقِ خلقه بالوسيلة، وإيجادهم في الحياة الدنيا بالواسطة، وكذلك إرادته التي اقتضت تكاثر الجنس البشري وتواجدهم على الأرض من خلال سلالة تورث أبا عن جد وابنا عن أب إلى أن يرث الأرض عز وجل ما أورثه لعباده يطوي السماوات ويفني الأراضين ذلك يوم موعود حق آت لا ريب فيه إنما يؤخره إلى أجل مسمى؛ فإذا جاء حينه فإن الله فاعل أمره ومحقق وعده وهو على ذلك قدير.

كما اقتضت أيضا سماء لطيفة الشرود في سنن الله عز وجل أن الإنسان محتاج، وفي سر هذا الاحتياج يتميز ويتفرد، وفي سر هذا الاحتياج سلوك إلى الله عز وجل إذ لا يسلك إليه غير المحتاج ولا يتجاوز العقبات في الطريق غير المفتقر، **فالملائكة لم يجعل الله عز وجل في باطنهم لطيفة الشرود بل نزههم عنها** لذلك فلا سلوك لهم ولا طريق لهم إليه إنما يفعل بهم ما يشاء، يأمرهم فيطيعون بِأَمْرِهِ أَمْرَهُ، ويسبحون بِحَمْدِهِ حَمْدَهُ، ويخضعون لسره في خلقه، وهم بذلك لا يتقربون منه ولا يسلكون الطريق إليه، إنما الله عز وجل جعلهم في حالة من الخدمة، وهي حالة استقرار لا سلوك فيها. لكن الإنسان مُيِّز بهذه اللطيفة فَجُعِل سالكا إلى الله عز وجل سائرا إليه عن طريق هذا الاحتياج إلى شهواته الجسدية والجنسية والاحتياجات الطبيعية.

2)اللطيفة البرتقالية لطيفة القيود:

أما **لطيفة القيود** هي لطيفة تقيد الإنسان وتحيط به، والله لا يحاط به إنما يحيط بعبده، فهي مخلوقة من سر اسم الله المهيمن الذي يهيمن على العبد ويجعله محصورا في ميم محسوس ومألوف ومعروف ومكان وزمان وهي لطيفة الدُّنَى.

●أرض لطيفة القيود:

أرضها هي الحياة الدنيا التي يُقَيَّد فيها الإنسان بجسده، إذ لا يمكنه أن يتواجد في مكانين في آن واحد، ولا يمكنه أن يخرق الأسوار والعوائد، ولا يمكنه أن يتجاوز السنن الكونية، فهو مقيد في حاجته إلى الأكل وإلى

الشرب، مقيد في حاجته إلى الأسرة وإلى التعامل مع العالم الخارجي، والتعامل مع الدنيا والسهر على نيل حقه من الرزق ليستمر عيشه على هذه الأرض.

- **سماء لطيفة القيود:**

أما سماء لطيفة القيود فهي عالم الروح الذي تحصر فيه الروح أيضا بزمان محدد ومكان معين وعوائد لا تجتاز، صحيح أنها تختلف عن عوائد الدنيا ولكنها أيضا دنيا روحية؛ فالدنيا صنفان دنيا جسدية ودنيا روحية، لذلك فالإنسان إذا انتقل من أرض لطيفة القيود إلى سمائها يجد نفسه منفتحا على عالم الروح يحوم فيه ويجول، ويتلقى من أسراره ويغرف من علومه إلا أنه محاط في زمان لا يجتازه؛ فلا يمكنه أن يرجع بروحه إلى ما قبل خلق روحه، ولا يمكن أن يجتاز بروحه ما بعد فناء روحه.

وأيضا يظل محصورا في سماوات الزخارف وأراضي الصفائح وليس الإنسان بمحرر وليس بموجود خارج الوجود ولا خارج نطاق يحيط به، فالله عز وجل محيط بعبده ومقيد له إلا إذا فنى فيه فإنه قد يتحرر عن نفسه بربه.

3) اللطيفة الصفراء لطيفة الوجود:

- **أرض لطيفة الوجود:**

أما **لطيفة الوجود** فلها سماء ولها أرض كذلك؛ فأما **أرضها فهي النفس البشرية والشيطان القرين** وما يأمران به من سوء وبعد وعصيان

ومعصية فيثبتان وجودهما إثباتا ظلمانيا وإثباتا محصورا في الظلال محاطا بالضلال، فيجعل لنفسه أناة ووجودا وحضورا؛ حيث تجد الإنسان مكثرا من قول أنا أنا معتقدا في نفسه أنه شيء، وأنه موجود، وأن له سلطة وقدرة وهو في الحقيقة عدم منثور، شاء الله عز وجل بحكمته أن يجعله عدما موجودا.

- **سماء لطيفة الوجود:**

وأما سماء لطيفة الوجود فهي الوجود الحق المعتمد على الأصل والجوهر، والفاني في وجود النور وفي حقيقة الروح:﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[1] : فوجود هذا الاتصال المنسوب إلى وجود الله عز وجل يحقق الإنسان بسر الوجود وبحقيقته، فيجعله موجودا بالله معروفا بالله ليس بنفسه، وبذلك ينتقل من أرض اللطيفة إلى سمائها وفي ذلك يطول الكلام وتتعدد الحِكَم ولكننا نذكر ما يستفيد منه الخلق ونذكر أصول هذا العلم وأساسياته وهو من إبداع الله عز وجل في خلق خلقه وفي صنع عبده.

4) اللطيفة الخضراء لطيفة الودود:

أما **لطيفة الودود** ففيها أرض كذلك وفيها سماء وهي مخلوقة من صفة الوِدّ من اسم الله الودود.

[1]. سورة الحجر، الآية: 29

•أرض لطيفة الودود:

أرض هذه اللطيفة ما يتحرك في الإنسان من مشاعر بشرية كالإعجاب والمحبة والفرح والحزن والشوق والقلق والخوف وغير ذلك مما يعرف من تقلبات مزاج الإنسان؛ فتجده يتقلب في أرض اللطيفة طيلة يومه من عاطفة إلى عاطفة ومن شعور إلى شعور، وهو بذلك في حيرة من الوجود يبحث عن السعادة، والسعادة بالنسبة إليه استقرار الشعور على الفرح، وعلى كل أمر جميل لا ألم فيه ولا حزن، وهذا لا يدركه الإنسان مهما طال الزمان أو قصر في أرض لطيفة الودود إلا إذا انتقل إلى سمائها.

•سماء لطيفة الودود:

هي من فائض الود الحق والمحبة الكاملة التي يعرفها المريد في بدايته بمحبة شيخه، ويترقى في معرفتها بانتقاله من محبة شيخه إلى محبة رسول الله ﷺ، ويظل في أحوال من الترقي والتلقي حتى يصل إلى محبة الود الجبروتي والعهد الإلهي، فيعرف معنى المحبة التي فاضت على الوجود فأوجدته، وعلى الخلق فأسبغته، وعلى السر فأمدته، وعلى الإنسان فأحيته، وفاضت على لطيفة الود فعرف بها الإنسان ربه الحليم الودود..

5) اللطيفة الزرقاء المفتوحة لطيفة العهود:

أما **لطيفة العهود** ويقع موقعها في الحلق هي تلك اللطيفة التي قال فيها الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

[1]. سورة الواقعة: 83

● أرض لطيفة العهود:

هي لطيفة أرضها عهود بشرية بين العباد؛ من عقود ومواثيق كالزواج والدين وفعل الخير وإسداء المعروف، مرتبطة بعمل الإنسان الذي يذكره عند موته، وتعرض عليه كل تفاصيل حياته ساعة وفاته، جزءً جزءا، ولحظة لحظة، فإذا كان عملا حسنا يُسَرُّ به، وإذا كان سيئا يُسَاء به.

● سماء لطيفة العهود:

أما سماء لطيفة العهود هي ذلك العهد القديم الذي قطعته الأرواح مع ربها لما عهد إليها ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]، قال بعدما مزجها بشبح طيني﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[2]، هنالك الإنسان ينظر ساعة وفاته، والنظر بمعنى التفكر والتذكر، هل أوفى بحق أرض لطيفة العهود من أعمال ومن حقوق لله عليه؟ وهل أوفى بسماء لطيفة العهود؟ أحقق الوعد والعهد الذي عهد إليه الله عز وجل به أم أنه تخلف عنه وكفر به؟ فكل كلمة وكل لفظة وكل حركة تترجم عهودا في أرض لطيفة العهود، وكل اشتياق روح وهيجان شوق واتصال وَجْدٍ تمثل عهدا في سماء لطيفة العهود.

[1]. سورة الأعراف: 172

[2]. سورة طه، الآية: 14

6)اللطيفة الزرقاء المُغْلَقة لطيفة الشُّهُود:

•أرض لطيفة الشهود:

أما **لطيفة الشهود** فأرضها بصر وسماؤها بصيرة، أرضها معاينة وسماؤها مشاهدة، أرضها نظر وسماؤها انتظار، مرتبطة أرضها بالعين البشرية وما تلتفت إليه وما تزيغ به وما تنظر إليه.

•سماء لطيفة الشهود:

أما سماؤها فمرتبطة بمشاهدة الروح لعوالم الغيب وحقائق السر ومعادن الأصل ونور الوجود؛ فهي عين منفتحة تشاهد العوالم والمواجد وتخرق العوائد.

7)اللطيفة البيضاء لطيفة المعبود:

•سماء لطيفة المعبود:

لطيفة المعبود سماء دون أرض، حقيقة دون مظهر، سر دون تجلي، أصل دون فرع، هي لطيفة مرتبطة بالله عز وجل، وبنفثته في الروح، وبنَفَسِه في النفثة، تعود إليه الروح وتلجأ إليه، تتصل به وتفنى فيه عن طريق هذه اللطيفة، لذلك فهي **لطيفة مفقودة عند غير المسلمين**، وعند كل من لا يقصد الله عز وجل، ويقصد بمعرفة علم اللطائف عوالم الدنيا وأسرار الخلق، واللطيفة البيضاء هي اللطيفة التي نفث الله عز وجل فيها من روحه لذلك سميت بلطيفة المعبود.

• أسرار اللطائف من القرآن الكريم:

لطيفة الشهود هي التي قال فيها الله عز وجل ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1] وهي التي تحدث الله عز وجل عنها في القرآن الكريم قائلا: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السماء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[2]. والحديث عن البصر جاء مجملا لكلية اللطيفة من جهة الأرض أي البصر ومن جهة السماء أي البصيرة، خاصة أن المعراج عالم غيبي قد لا يدرك بالبصر ويدرك بالبصيرة.

ولطيفة العهود هي التي قال فيها الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[3]، ينظرون أي يتفكرون ويتذكرون ما قطعوه من عهود في الدنيا وفي عالم الروح؛ هل أوفوا به أم كفروه؟.

ولطيفة الودود كان يخاطبها الله عز وجل إذا ما خاطب القلوب وأيضا إذا ما خاطب الصدور بكل آيات التحقق والمحبة والودية وهي كثيرة في القرآن الكريم، ومنها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4].

---

[1]. سورة الأنعام، الآية: 103

[2]. سورة الحجر، الآية: 14

[3]. سورة الواقعة، الآية: 83

[4]. سورة محمد، الآية:24

وأيضا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

أما **لطيفة الوجود** فهي التي خاطبها الله عز وجل وتحدث عنها بالنفس ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]، وقد أشار تعالى إلى الارتقاء بها إلى السماء في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[3]، وفي ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[4] أشار إلى الخلود بها إلى الأرض.

أما **لطيفة القيود** فقد جعلها الله عز وجل مخلوقة من سُنَن سَنَّهَا في الكون وهو يتحدث عنها في القرآن الكريم من خلال الكثير من الآيات التي تدل على عوائد حياة الدنيا وقواعدها وحدودياتها سواء دنيا الجسم أو دنيا الروح، كقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[5].

و**لطيفة الشرود** تحدث عنها الله عز وجل في كتابه قائلا ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[6] فهي تجمع كل ما زُيّن للإنسان وأُودِع في أرض لطيفته مظهرا، وفي سماء لطيفته سُنَّة

---

[1]. سورة الحج، الآية:46

[2]. سورة الشمس، الآية: 7و8

[3]. سورة الشمس، الآية:09

[4]. سورة الشمس، الآية: 10

[5]. سورة الرحمن، الآية:33

[6]. سورة آل عمران، الآية: 14

أرادها الله عز وجل اختبارا للعبد وامتحانا له وابتلاء له وضمانا لاستمراره وضمانا لعيشه بحصوله على قوته، وبحصوله على رزقه.

فالإنسان عالم مستقل عن العوالم، هو عالم لوحده، فيه سماوات وأراضين، وفيه ما فيه من أسرار ومن حقائق، وفيه ما فيه من أصناف القدرة الإلهية وإبداع الصنع الرباني.

• ألوان اللطائف ودلالاتها:

فمعنى تزكية اللطائف هي الارتقاء بها من أرضها إلى سمائها وتحقيقها بالسنة المقصودة منها، وليس بالحقيقة الدنيوية فقط؛ فهي تزكى فعلا وتطبيقا، وتزكى أيضا بواسطة أنوار لها ألوان شاء لها الله عز وجل أن تكون بتلك الألوان كل لون له حكمته وله خاصيته وله أمره.

فاللون الأحمر قد يشير إلى جمال وهمي تميل إليه النفس، ولعل اللون البرتقالي يشير إلى تلك العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس على قوم من الأقوام، أي يغيب فيها الأصل والمنبع وإذا غاب الأصل تجسد المظهر والمرتع وهو محصور مقيد محاط به.

ويشير الأصفر إلى امتزاج مابين صفاء النور وغيره من الشوائب والمعادن وغير ذلك، وله حكمة تشبهه بضوء الشمس ليس في حالة الغروب كما سبق ذكره وإنما في حالة الشروق، وحكمة ذلك أن الإنسان في لطيفته الوجودية الصفراء وهي لطيفة نفسية محتاج إلى أن يتوجه إلى شمس محمدية يقتبس منها الصفات ويرتوي منها، ويثبت بها الأسماء، ويزكي بها نفسه، وإلا سيظل عائما في الظِّلال تائها في الضَّلَال.

وفي لون لطيفة الودود الأخضر حِكَم متصلة بالقلب المحمدي الذي نفث فيه سر الود وأصله، وهو في مدخل سره وأسوار حضرته أخضر اللون محفوف بالخضرة، وسر هذا في القلب المحمدي راجع إلى سبب خلقه والرسالة التي أرسل لها؛ فالأخضر يشير إلى الخصب، والخصب يفيض بالعطاء والرحمة والود والجود، كذلك قلب سيدنا محمد، وكذلك فاضت صفة الود على سيدنا محمد فجعلته خصبا وتلك الخصوبة فاضت على لطيفة الود فتمثل في لونها أخضرا.

ولطيفة العهود هي لطيفة تقع في الحلق لونها أزرق فاتح يشير إلى لون البرزخ الغيبي الذي إذا اجتازه العبد تذكر العهد فلون البرزخ كلون تلك اللطيفة وانعكس هذا اللون البرزخي في مظاهر كونية كالبحر وغلاف السماء وغيرهما، وهما أيضا برزخان قد يجهل الإنسان ما بعدهما، فالبحر يجهل الإنسان ما بعد زرقته، والسماء كذلك يجهل الإنسان ما بعد زرقتها، وذلك مهما تعلم من علوم الظاهر ومهما غاص في أعماق البحار فإنه لا يعلم إلا الشيء القليل جدا من حقيقة العلم، وكذلك ما وراء البرزخ الغيبي الذي وصفه لنا الله عز وجل وذكر لنا أنه يوجد فيه وعيد وتوجد جنة وتوجد نار، ولكن حقيقة ما بعد البرزخ لا يدرك منه الخلق إلا العلم القليل، كما يدرك العلم الذي يوجد ما بعد البرزخ البحري والسماوي.

ولعل لطيفة الشهود في لونها الأزرق الغامق تشير إلى حقيقة المشهود وأسرار حضرة الشهود، فجعلت لطيفة لا يميز فيها الأصل من الفرع. اللون الأزرق الغامق يشير إلى حالة الليل، وحالة الليل مشيرة إلى تنزلات الله في ذلك الليل، حيث قال الله عز وجل على لسان نبيه أن الله يتنزل في الثلث

الأخير من الليل إلى السماء الدنيا؛ فمن تحقق بلطيفة الشهود يراه لكن لا يراه بذاته إنما يراه بمشهوديته الكامنة في ذلك الليل شهود قرب ومشاهدة واتصال وشعور. وهو أيضا يشير إلى حال الإنسان في حضرة الله الأحدية إذ تختلط عليه الحيرة بالحيرة ويشرب من كؤوس السكرة حتى يصبح نظره الواقع على ذات الله واقعا بخصوصيات الليل أي دون حس ودون مكان ودون لون ولا صورة.

وهذا السر يصعب وصفه بالكلام ولو أننا أشرنا ما استطاعت له العبارة إشارة في هذا الستر المكنون لنقرب المعنى فقط لكن الأمر يعاش ولا يحكى.

ولطيفة المعبود بيضاء لأنها مقتبسة من نور حق الحق، نور مضيء مشع منير لا يخالطه مخالط ولا يمتزج به ممزوج منسوب إلى الله تعالى، نور من الله، حقيقة في الله، سر من الله.

❖ فوائد تحرير الروح من الأجساد:

وفضائل تحرير الأرواح من الأجساد كثيرة وأهمها بعدد لطائفها الكبرى:

1- وَصل الروح بعالمها عبر اللطيفة البيضاء: وتمثل علاقة الشخص بربه فكلما حدث الاتصال بعالم الذر وبسر الروح زادت الروح نورا عبر نور لطيفاتها البيضاء، فمركزها تاج الروح ومنها يمتد الحبل النوراني الذي يربط الروح بالله تعالى.

2- انفتاح البصيرة على العالم الحق وعالم الشهود: فالإنسان إذا انحصر في نظر عينه المجردة فإنه يبقى في المحسوس المعتاد ولا يدرك جمال المستور ولا يعيش بسره الآخر، لأن للإنسان سران: عين ينظر به ليعرف، وبصيرة يبصر بها ليتعرف. فتحرير الروح من الجسد تجعل بصيرته منفتحة على أنوار الحق وعلى تجلياته ومظاهره الكونية.

3- ومن فضائل ذلك أيضا مخاطبة الأرواح بالأرواح: لأن الكون لا يحمل حديث اللسان فقط بل للروح حديث ولغة ومخاطبات من خطاب الله الأول لها. فللساكنات والجمادات أرواح يستطيع الشخص مخاطبتها عبر روحه إذا تحررت ورفع عنها حجاب التكليم، فتسمع الخطاب وتُحدث بالمخاطبة.

وهذا التحرر بالخطاب له مقامات ودرجات تتمثل في الروح، فكلما نضجت وارتقت وزادت نورا ترتقي في مخاطبتها من الكلام مع أرواح الجمادات الأرضية إلى التحدث مع السائحات الكونية السماوية، ثم مع أرواح أهل البرزخ ثم في حضرته ﷺ المحمدية والأحمدية ثم القدسية ثم الحبيبية إلى الحضرة الكبرى.

4- ومن كرامات هذا الانفتاح على عالم الباطن هو انفتاح بصيرة القلب والفؤاد: لأن الانفتاح الأول المتصل باللطيفة الزرقاء المغلوقة يكون في حدود الخيال وقد يكون حيا أو متحركا.

أما انفتاح بصيرة الفؤاد يُقصد بها الاستمداد فانفتاح بصيرة قلب المريد على بصيرة شيخه تجعله يتصل به اتصالا ليس بالمشاهدة والمخاطبة

فقط بل بالاستمداد، وهذا الاتصال مقامات ودرجات يتعرف عليها المريد بالمجالسة والفناء والمحبة وليس بالقراءة في الكتب ولا بالإطلاع على أحوال السابقين، إنما بارتواء روح الشخص من عين الاتصال والاستمداد.

5- التحرر من التعلقات الدنيوية بتحرر الروح من قيود الجسد: لأنها بتطلعها على عالم الحق ومشاهدتها للجنة والنار وبمخاطبتها للملائكة وللسابقين تفنى عن الدنيا وعن ملذاتها الزائفة وتدرك حقيقة الوجود ومقصد كل موجود.

6- امتلاء الروح بالأنوار التي تنشط الذات على العبادة: بتحرر الروح وسفرها إلى معالم القرب وارتقاءها في معارج السماوات فإنها تعود ممتلئة مثقلة بالأنوار فتفيض على الجسد من نورها وهذا ما يجعل الصلوات والذكر والعبادات ذات معنى وخشوع ولذة ولهفة، فضعف الخشوع والتثاقل في العبادات دليل على جفاف الروح وضعف نورها لذلك وجب تغذيتها من غذاء الروح.

7- **وأما النعمة الكبرى من تحرر الروح هي العيش بها في الدنيا قبل الآخرة:** فيبصر الشخص حقيقة الأمور وما تنطوي عليه، فإذا نظر للخلق نظر إلى صنع الله البديع، وإذا رأى الجمادات رآها متحركة بذكر الله ساجدة لأمر الله، وإذا أبصر بعين شريعته حكم بعين حقيقته فسقى الخلق بسقاية الله لروحه.

فالسير إلى الله لا يكون بتربية الأنفس وتزكية الأجساد فقط لأن هذا لا يحقق بالصلاة في مقامات القرب، ولا السجود في حضرة الله ولا الصلاة

على رسول الله ﷺ في حضرته ومجلسه ولا الصلاة كما كان يصلي، إنما هذا يعاش بتزكية الروح أيضا وتغذيتها وتنويرها، فبها تتم الصالحات، وبها تيسر العبادات وتيسر المجاهدات.

فالذي يجاهد في نفسه لأنه يرى الوصول بعينه، ليس كمن يجاهد وبصيرته متصلة بما شاهده الآخر وبما رواه السابقون، وحتى وإن تحفز بكلامهم فسرعان ما تنطفئ شعلة عزيمته أما إذا رآه عيانا فإنه اليقين بحق الوصول.

وكما أن للروح أهمية عظيمة في سير المريد السالك وفي معرفته بربه وفي تثبيت تقلبات نفسه فإن للمرشد الروحي الذي يفتح الباب لهته الروح دور أهم وأجل وأكبر يتجلى في مظاهر عديدة:

❖ أدوار المرشد المأذون بعد فتح بصيرة الروح:

1 - تأمين الروح وتحصينها إذا ما خرجت لعالم مجهول غير معروف:

فالإنسان قد يتيه في مدينة يعرفها وهو بصير يرى بعينيه، فكيف بعالم لا يعرف عنه شيئا ويُعد فيه أعمى فإنه سيتيه لا محال، لذلك فالمرشد الروحي العارف بعالم الروح ضروري وهته الضرورة تتجلى في الثقة المتبادلة بين المريد وشيخه، فإذا لم تكن هذه الثقة فيصعب تحرير الروح ويصعب إرشادها وتوجيهها.

فليس من السهل والعادي أن يكون الشيخ عارفا بعالم الروح وهته المعرفة لا تكون قراءة في المخطوطات والمرموزات بل هو سلطان من نور وإذن من عنده ﷺ يجعله الشيخ نبراس يضيء به ويحكم به ويميز به، فالاحتماء بحصنه يؤمِّن روح المريد ويجعلها تتقوى بسفرها وتأخذ منه ما يفيد دينها وتقواها.

2 - تصحيح نية المريد وقصده من سفره:

بتذكيره دائما بأن الهدف الأسمى هو التحقق بعين اليقين لعبادة الله بحقيقة اليقين وأن الهدف من السفر الروحي هو أخذ الدين حيا من أصله، فليس الهدف من المعراج هو البحث عن الكنوز أو أخذ القوى من الجن أو التجسس على الآخر أو سرقت الممتلكات لأن هته الأهداف تُخرج الشخص من المقصد الأسمى وتزيحه عن الشريعة وتجعله كافرا بنعمة الله التي هي الروح فلا يوظفها فيما يرضي الله بل قد يؤذي بها الخلق وهته الأخطاء كثيرة يقع فيها كل من يسافر بنفسه ولا يتخذ لنفسه شيخا مرشدا يذكره إذا ما اختلطت النوايا أو زلت القدم أو تقلبت المقاصد.

3 - وصل المريد برسوله أولا:

وليس تحرير الأرواح لتتصل بالأشجار والأحجار وتكلم الحيوانات وتحرك الجماد، فبالأحرى لمن تحررت روحه أن يلتقي بنور نبيه الكريم الذي فتح لنا باب المعراج وبروحه نرتقي ونسافر ونتعلم ونتعرف.

لذلك فعلامة المرشد المحمدي هو الذي يصلك بنور رسول الله ﷺ وبمظاهره كالقبة الخضراء والشباك النبوي وقبره الشريف ليجعل مِن

تحرر الروح حسنات وزيادة في التقوى والإيمان وليس بعدا عن الله وكفرا بنعمه.

فليحذر كل من يبحث عن مرشد يعينه على تحرير روحه من الذين يَدَّعُونَ الإرشاد وَيُكَذِّبُون المنهج الصحيح وَيَدْعُونَ الخلق لما يُخالف سنة رسول الله ﷺ، فالعديد منهم يختبئون في نور الله ويدعون الاتصال بالله وأن تحريرهم لأرواح الخلق يمر عبر التأمل في اسم الجلالة لكن ما يخفونه أخطر وأبعد بكثير عن الله، لأنه لا اتصال بالله دون رسول الله ﷺ،وإذا ذكرته ﷺ أمامهم ترى وجوههم في كدر، كما أنه لا علاقة لهم به وبسنته، فهنا يظهر الخلل ويتميز الحق من الباطل.

خُذْ علمك مِنْ مَن يذكر رسول الله ﷺ في كل أحايينه، واعرف ربك بمعرفة رسوله، ونَوِّر روحك من روحه ﷺ.

4- مَنْهَجَة المعراج وإعطاءه شرعية محمدية وحقيقة أحمدية:

فيكون المسار النوراني واضح واللقاء بأهل البرزخ محاط بهالة الإذن التي لا يقربها شيطان ولا يمسها سوء، لذلك فإن المعراج الممنهج والمؤطر ليس كالعبثية، خاصة في بدايات المريد في الأمور الروحانية حيث يكون تائها بين الخيال والحقيقة والواقع، فهته المنهجية تؤمن معراج المريد إلى أن تتعرف روحه على العوالم الباطنية ويضبط بذلك مبادئ المعراج ثم تنتقل روحه من القاعدة إلى الاستثناء.

5- توجيه المشاهدات وتفسير الرؤى وتوضيح الخطابات التي تُسمع، ومعرفة مصدرها وأصلها:

فليس كل ما يُسمع ويرى صحيح وحق، خاصة إذا كان الشخص غير مُزَكَّى وغير مطهر فقد تدخل أناه في التفسير والتأويل ويتدخل كبره في ذلك فيخطئ ويفقد السيطرة على زمام نفسه فيرى ما يريد أن يراه ويسمع ما يريد سماعه لأنه في هذه الحالة تصبح النفس مرشدا له فتريه مشاهدات التعظيم والتقدير له وأنه ذو شأن وقدر لكن حقيقة هذا من وهم النفس.

أما إذا كانت مشاهداته موجهة من طرف شيخ مرشد فإنه بذلك يميز ما هو نفسي وما هو عقلي وما هو روحاني ويساعد الشيخ مريده على تصحيح القصد والمشاهدة ويصحح خطأه وينبهه من المزالق والفتن النفسية.

6- أن يؤتي الإذن منه ﷺ في الإرشاد:

ولا يؤتى لغيره من المرشدين ولو كانوا على حق، لأن الإذن من رسول الله ﷺ يخلق الاختلاف، فتجد داعيان يدعوان إلى دين واحد ولنبي واحد ولله تعالى لكن واحدا منهما يملك الإذن الصحيح منه ﷺ والآخر يجتهد بعقله وفهمه فتجد الإقبال والقبول على صاحب الإذن.

كذلك فإن الخصوصية التي يحملها المرشد المأذون هي أنه يكون مع مريده في كل أحايينه ويراقبه في زلاته وعباداته ويوجهه في صلواته ويذكره بالله في غفلاته، فيكون الاتصال الروحي به اتصال بالله تعالى، وهذا مقام عالي من الإرشاد لا يؤتيه الله تعالى إلا لمن أحبه.

فحقيقة الاتصال الروحي بين المرشد ومريده أنه يرى شيخه أينما ولى وجهه في معارجه وحيثما ناداه يُبصره وأينما ذكره يحضر بروحه ويأخذه حيثما شاء فيكون المرشد فاتحا لكل أبواب الروحانيات من برزخ وسماوات وحضرات وأراضي وحقائق وأسماء وصفات وكرامات ومعارف، فإذا ذكر المريد اسم شيخه تُفتح له الأبواب المغلقة ويجد نفسه في مقامات ليست من استحقاقيته ولا من كثرة عبادته أو زهده أو كثرة مجاهدته وتزكيته بل ذلك من فضل ومقام وفيض شيخه عليه، لأن الإرشاد يكون بالله تعالى والله يُعرف بمظاهره وهته المظاهر التي تفيد المريد تكون في شيخه المرشد، فبإطلاعه على حقيقة مرشده يجد نفسه يعيش أحوالا من أحوال مرشده ومناجاة من حضرة مرشده وتتحقق فيه الكرامات من فيض الله تعالى على مرشده.

وهذا الفضل العميم والنعمة العظيمة لا توجد على الإطلاق إلا في الشيخ المرشد المحمدي المأذون.

فلا ينتظر المريد الذي يريد السلوك ويريد الفتح أن يُقبل على الله دون مرشد ولا يتوقع عبد أنه تحقق بالفتح دون مرشد ولو أنه رأى من المشاهدات ما رأى فإنها تبقى من رسم الوهم وإن تجلى عليها نور واحد من نور المرشد لاضمحلت وذابت، فالمشاهدة بالبصيرة المتصلة ببصيرة المرشد المتصلة ببصيرته ﷺ ليست كالمشاهدة بالوهم وبالتمني.

فإنه من الواجب والضروري على كل فرد أن يتخذ مرشدا يعينه في أمور دينيه ودنياه ولو لم يكن مهتما بمجال الروحانيات إلا أنه في حاجة

للإرشاد، يقول الله تعالى ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1].

[1]. سورة الكهف، الآية:17

خـاتمة عامة:

بسم الله المبدئ الخاتم، الباقي الدائم، العلي القائم، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد الذي به ابتدأ البَادِئُ خَلْقَهُ، وأنهى الخاتِمُ خلائقَه، وتفرد به له، وجعله نورا ووحيا تهتدي به الخلائق إلى سواء السبيل، وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد، فالحمد لله نحمد ونشكره، هو سبحانه قال في محكم تنزيله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[1]، فجعل الفلاح في طريق السلوك إليه اقتران هذه الثلاثية ببعضها، تزكية النفس والذكر والصلاة، بها يكتمل السلوك، وبها يتحقق المراد، وبها يكتمل حال العبد في معرفة ربه.

فتزكية النفس ومجاهدتها أول مراتب الطريق التي يجد فيها المريد صعوبة ومرارة، ويضطر فيها إلى التخلي عن كل العوائق وعن كل ما تحبه نفسه، ويميل إليه قلبه وتهواه غرائزه.

في هذه المرحلة يظهر صدق المريد وعزمه في طلب الله، فالصادق فقط من يوفقه الله أن يجتاز هذه المرحلة، أي مرحلة تزكية النفس، التي يظهر فيها الصادق من المريدين وغير الصادق منهم، وفي هذه المرحلة يَمِيزُ الله العبد القوي ذا الهمة والحزم عن غيره من المتمني ومن المستسلم لأهواءه ولرغباته، لذلك على المريد الصادق في الطلب، القاصد وجه الله أن يكون قوي القلب ممتلكا زمام نفسه، ويجب أن يكون ذا صبر عظيم يصبر به على

[1]. سورة الأعلى، الآية: 14 و15

مشاق الطريق، ويصبر به على عواصف الشك حتى يتحقق بالتصديق، ويظل صابرا بعزم وحزم حتى يصل إلى مقام التحقيق.

وأما المرحلة الثانية في السير إلى الله سبحانه وتعالى وهي مرحلة الذكر، تذكر العبد بربه وتحيي في روحه شوقها القديم وعشقها المقيم، وتُفَيِّضُ نُورَها على سائر مكونات الذات حتى يتحقق العبد بحقيقة الصلاة، وهي الصلة بالله عز وجل، التي تَنْفَكُّ فيها لطائف الروح وتفتح أقفالها ليزول الحجاب عن الذات وتُبْصِرَ الروح عالم الحق، وتتحرر من ظلمات الوهم، وتسافر إلى الله عز وجل فَتَعْرُجَ بإذن معراج سيدنا محمد ﷺ إلى حضرة الله تعالى حتى إذا ما ارتقت في المقامات وفُتِّحَتْ لها أبواب السموات، وتحققت بأصناف الكرامات، وصلت إلى حضرة العلي القدير وخاطبها خطابا من سر الوحي في المقدمة والأخير، خطابا من بحر لا ينته ولا ينضب، لا يَجِفُّ ماءه ولا تنفذ لآلئه، ولا يدرك بَرُّه ولا يُعْرَفُ ساحله، بحر المعرفة الإلهية والحق الأحدي.

هكذا يكتمل السلوك ويتحقق المراد، وها نحن نوضح الطريق التي يحتاجها العبد السالك ليرجع إلى ربه، بإذن من سيدنا محمد نكشف أسرار المسالك، وخصوصيات الأذكار وحقائق الأسرار، ونُبَيِّنُ كل ما يحتاج التبيين، ونُوَضِّحُ كل ما يحتاج التوضيح، وتبقى مسؤولية العبد أولا وأخيرا في تحقيق سر بعثه إلى هذه الأرض وتحققه بأمانته أن يختار اختيارا يحدد مصيره، ويبين طريقه.

صحيح أن الله عز وجل عَرَّفَنَا عليه، وعَلَّمَنَا ما نُعَرِّفُ به الخلق عليه، وسَقَانَا من سِرِّ نبيه، وآتانا إذنه وعلمه، وسراجه ونوره، إلا أن الله عز وجل

جعل سُنَّةً خَلَقَ من أجلها الأكوان سنة اختيار الإنسان مرتبطة به فقط، هل سَيُفَعِّلُ أمانة الاختيار ويختار طريق الله يدخلها من باب سيدنا محمد ﷺ، ويدخل على سيدنا محمد من باب وارث سره، أم أنه سيختار طريق الغواية والضلال وينتهج نهج الشيطان ويطلق لهواه العنان، حتى إذا ما اختار المريد بشكل خاص، والعبد بشكل عام، طريقا يسلكها أمده الله عز وجل وأعانه، وثبته وأعطاه وأمده ووفقه، فمن أراد الله أراده الله، ومن أراده الله أراد الله، إرادته وحدها تُفَعِّلُ الأكوان، وأمانة الإنسان من سر إرادة الديان فاختر أيها العبد سبيلا، وليكن سبيلك إلى الله تجد الله ممدا لك، وتجد الحق هو، وإذا سلكت طريقا غير طريقه لن تجد غيره، فاعلم أيها العبد أنك سائر إليه طوعا أو كرها، فاختر أي الطريقين تريد، والحمد لله رب العالمين..

الفهرس العام:

❖ فهرس الكتاب الثاني:

❖ فهرس الكتاب الثالث: